جامعة مؤتة.
عمادة الدراسات العليا

آيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريـــم
- دراسة موضوعـية -

إعداد الطالب
علي عبد الله احمد الحريرات

إشراف
الأستاذ الدكتور نايل أبو زيد

رسالـــة مقدمـــة إلى عمـــــادة الدراســـات العلـــــيا
استكمـالا لمتطلبـــات الحصـــول على درجة الماجستيـــر
تخصص " التفسيـــر وعلومـــه " قســـم أصـول الديـن

جامعة مؤتة ,2011م

الآراء الواردة في هذه الرسالـــة لا تعـــبر بالضرورة عـــن وجهـــة نظـــر جامعـــة مؤتـــة

الإهـداء

اهدي هذا الجهد المتواضع إلى والدي العزيزين لما قدماه لي طيلة حياتي، كما واهديه إلى المدافعين عن الحق، والمقدسات في كل مكان.

علي الحريرات

الشكر والتقدير

احمد الله عز وجل على ما من به علي تعلم كتابه العزيز، حمدا يوفي نعمه عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه ، ومداد كلماته.
ومن باب العرفان بالجميل أتقدم بالشكر الجزيل لفضيلة الأستاذ الدكتور نايل أبـو زيد بالتفضل بقبول الإشراف على رسالتي، وعلى مـا قدمـه لـي مـن جميـل التوصيات، والإرشادات لتخرج هذه الرسالة إلى النور بإذنه سبحانه وتعالى ، كما وأتقدم بالشكر الجزيل لكلية الشريعة في جامعة مؤتة ممثلة بأساتذتها خاصة فـي قسم أصول الدين، لما أفادوني به طيلة سنوات دراستي فيها – فجزاهم الله خيـر الجزاء –، كما وأتقدم بالشكر الجزيل لجامعة مؤتة الشامخة، لاحتضاني بأكنافهـا لسنوات خلت للحصول على علوم الشريعة الإسلامية الغراء .
علي الحريرات

فهرس المحتويات

الملخص

"آيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريم- دراسة موضوعية"

علي عبد الله الحريرات

جامعة مؤتة 2011

تهدف هذه الدراسة، لبيان اصطفاء الله - سبحانه وتعالى – لبعض خلقه من الأنبياء وغيرهم وتفضيلهم على سائر المخلوقات، لما لهذا الموضوع من أهميـة كبرى، حيث إنه يتحدث عن صفوة الخلق، سواء من الأنبياء أو غيـرهم، وبيـان ماهية هذا التفضيل والاصطفاء.

وقد جاءت هذه الدراسة في خمسة فصول، الفصل الأول تحـت مـسمى "فصل تمهيدي"، بينت فيه خلفيـة الدراسـة، ومـشكلتها، وأهميتهـا، وأهـدافها، والدراسات السابقة، وأسئلة الدراسة، وهيكلية الدراسة.

ثم الفصل الثاني، وفيه معنى التفضيل لغـة واصـطلاحاً، وبيـان بعـض مواضع التفضيل في القرآن الكريم، والمقصود بهذه المواضع. ثم الفصل الثالـث جاء فيه الحديث عن الاصطفاء لغة واصطلاحاً وبيان اصطفاء الأنبياء الذين ورد بحقهم لفظ الاصطفاء في القرآن الكريم كآدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وإسحاق، ويعقوب، وسيدنا محمد – عليهم صلوات الله وسلامه- وبعض الألفـاظ المقاربـه للتفضيل والاصطفاء وترجيح عدم الترادف بينها. ثم الفصل الرابع تحدثت فيه عن مسائل في رد تفضيل الذكور على الإناث، والرد على المشركين، ودلالات ذلك.

وفي الفصل الخامس، والأخير جاء الحديث عن اصطفاء غيـر الأنبيـاء، كاصطفاء الملائكة، والمؤمنين، مريم، طالوت، والدين، واللغة العربية، ثم الخاتمة، وبعض النتائج والتوصيات .

Abstract

"Selection in the Koran-an objective study "

Ali Abdullah Horaerat.

Mutah University, 2011

This study aims to illustrate the meaning of the selection of language and terminology as to the subject of great importance, since, it talks about the cretion of both elite alubia or others, and the statement of how these people lining up .

The study, in five chapters, the first chapter under the name of " an introductory chapter", it outlined the back ground of the study its problem its importance its aims and previous studies and study questions, and structural study.

Which contains chapter two then the meaning of language selection and idiomatically, some words in his approach to meaning and their definitions, and the statement of the roads between these terms and the like lihood of non- synouy my among them, and the topics contained in these words in the Koran .

Then came the third quarter when talking about the celection of the prophets who received their right word selection in the Koran as Adam, Noah, Abraham, Moses, Isaao, amd Jacob, and Prophet Mohammad have the prayers of Allah and peace.

Chapter Fourth then takling about issues in response to females preference for males, and to respond to the infidels, and indications that the. In the fifth chapter and the last one came to talk about non- selection of the prophets kastefa angels and the believers, religion and arabiclanguage and Mary and tolat.

Finally, the conclusion and some recommendations and results.

الفصل التمهيدي

"الإطار النظري للدراسة"

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب، ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- الذي أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة بأحسن أسلوب، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين، وبعد:

نظرا لأهمية الدراسات الموضوعية،وما تبرزه من نتائج تهم المسلم في حياته، وتعمق صلته بالقرآن الكريم، جاءت هذه الرسالة، لآيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريم ، وتحدد لنا مفهومي التفضيل والاصطفاء، وتبرز لنا معنى التفضيل، والاصطفاء تظهر فيه حكمة الخالق سبحانه وتعالى . وإن تناوله العلماء

في دراساتهم بين ثنايا كتب التفسير، إلا أن هذه الرسالة تظهره بثوب جديد يـسلط الضوء على الآيات المتعلقة به، ويربط بينها ربطاً موضوعياً يجلي هذا المفهوم.

أهمية الدراسة:

أن الدراسات في القرآن الكريم تأخذ أهميتها من هذا النور الرباني، وذلك أن القرآن عندما يتحدث عن موضوع واحد في مواضع متعددة ، يدل على أهمية هذا الموضوع ، وتكمن هذه الأهمية في بيان قدرة الله عز وجل وحكمته من جهة، وبين هل التفضيل والاصطفاء جبلي أو مكتسب .

أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى ما يأتي:

1- بيان مفهومي التفضيل والاصطفاء .
2- ترجيح عدم الترادف لألفاظ متقاربة، كالاجتباء، والاختيـار، والاصـطناع والإيثار، وتحديد الفروق بين هذه المصطلحات .
3- بيان ماهية اصطفاء الملائكة، وطالوت، ومريم، والمؤمنين .
4- تحديد صفة الاصطفاء ،وهل هو جبلي أم مكتسب .
5- بيان المقصود بتفضيل الرجال والنساء، وتفضيل الزمان والمكان.

مشكلة الدراسة :

تنبع مشكلة الدراسة في الإجابة عن عدد من التساؤلات الآتية:

1- هل التفضيل والاصطفاء جبلي أم مكتسب ؟
2- هل الاجتباء والاختيار كالتفضيل والاصطفاء في القران الكريم أم بيـنهم فروق؟
3- هل يفهم من رد الله على المشركين في دعواهم أن الملائكة إنـاث تقـديم ضمني للذكور على الإناث ؟
4- هل يقصد باصطفاء مريم النبوة؟
5- تحديد مفهومي التفضيل والاصطفاء؟
6- ما دلالة أن الرد على المشركين في دعواهم كان في القرآن المكي ؟
7- ما المقصود بإصطفاء المؤمنين ؟ وما علامات ذلك الاصطفاء؟

8- هل تثبت عصمة في الاصطفاء ؟

9- هل إصطفاء الأنبياء ينافي وقوع بعض المعاصي منهم ؟

10- هل يمكن أن يكون بين الناس اليوم مصطَفين؟

الدراسات السابقة :

إن موضوع التفضيل والاصطفاء تناولت بعض جوانبه كتب التفسير ، ولكن منهم من جعل لفظ الاصطفاء مرادف لغيره من الألفاظ كالاجتباء، والاصطناع، والإيثار ...الخ ، ولكن هذه الدراسة جاءت لتبرز الوحدة الموضوعية بين آيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريم ، كما تبين الفروق الدقيقة بين هذه الألفاظ، وترجح عدم الترادف في كتاب الله عز وجل ، وقد كتبت بعض الدراسات في هذا الموضوع، ولكن لم تعط الموضوع حقه -على ما فيها من الخير، والنفع العظيم – فجاءت هذه الدراسة لتغطي الجوانب الأخرى في موضوع الاصطفاء، لتحقيق النفع المقصود بإذن الله عز وجل، وإكمال ما كتب في هذا المجال، ومن هذه الدراسات السابقة :

1. " الاصطفاء في القران الكريم " رسالة ماجستير قدمت في الجامعة الأردنية من الباحث إسحاق عويضة أبو صعليك ، إشراف الأستاذ الدكتور فريد مصطفى السلمان ، وهذه الرسالة اشتملت على :

أ. التعريف اللغوي للاصطفاء ، والتعريف الاصطلاحي .

ب. ذكر بعض الألفاظ المقاربة له، واقتصر الأستاذ إسحاق أبو صعليك على الاجتباء، والاختيار، والتفضيل، والإخلاص، والتكريم على أنه لم يفرق بين هذه الألفاظ .

ج. اشتملت هذه الدراسة على الاصطفاء المتعلق بالإنسان ،واصطفاء الملائكة،واصطفاء الزمان والمكان.

د. وجزا الله كاتبها خير الجزاء ونفع به وبرسالته.

2. " الاصطفاء في القرآن الكريم " رسالة جامعية قدمت في المملكة العربية السعودية في كلية بنات ، ولكن لم أتمكن من الحصول عليها .

منهجية الدراسة :

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي والتحليلي ،وذلك من خلال النظر،وتتبع أقوال المفسرين حول آيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريم من مصادرها الأصلية وعرض هذه الأقوال، ومناقشاتها مع الترجيح، وبيان أسباب الترجيح، ويقوم العمل في البحث على النحو الآتي:

1- توثيق النصوص المقتبسة من المصادر والمراجع .

2- ترقيم الآيات في المتن مع اسم السورة ورقم الآية.

3- تخريج الأحاديث مع بيان درجتها .

4- بيان المقصود من الآيات وفق الراجح من أقوال المفسرين .

5- التعريف بالأعلام غير المشهورين خلال البحث في الهامش.

هيكلة الدراسة :

تتكون هذه الدراسة من أربعة فصول عدا الفصل التمهيدي (الإطار النظري للدراسة) وتحت كل فصل عدد من المباحث، والمطالب على النحو الآتي :

"فصل تمهيدي " وهو الإطار النظري للدراسة ويحتوي على :

خلفية الدراسة.

مشكلة الدراسة .

أهمية الدراسة .

أهداف الدراسة .

الدراسات السابقة.

أسئلة الدراسة .

منهجية الدراسة .

هيكلة الدراسة .

الفصل الأول : التفضيل في القرآن الكريم.

1.1 تعريف التفضيل لغة، واصطلاحا.

2.1 تفضيل الرسل والأنبياء.

3.1 تفضيل بني آدم – عليه السلام -.

4.1 تفضيل المؤمنين.

5.1 تفضيل المجاهدين في سبيل الله على سواهم.

الفصل الأول
التفضيل في القرآن الكريم

1.1 الفضل لغة واصطلاحاً:

الفضل لغة مأخوذ من الفضل " فضل ": الفاء والضاد واللام أصل صحيح يدل على زيادة في شيء، ومن ذلك الفضل: الزيادة والخير، والإفضال: الإحسان. ورجل مفضل، ويقال: فَضل الشيء يفضل، وربما قالوا فَضِل يفضل، وهي نادرة،

وأما المتفضل فالمدعي للفضل على أضربه وأقرانه. ويقال المتفـضل: المتوشـح بثوبه".[1]

" الفضل والفضيلة معروف ضد النقص والنقيصة والجمع فضول ".[2]

وعند الراغب الاصفهاني: " الفضل: الزيادة عن الاقتصاد، وهو ضـربان: محمود: كفضل العلم والحلم، ومذموم: كفضل الغضب على ما يجـب أن يكـون عليه.[3]

والفضل ضد النقص، والفضيله الدرجة الرفيعة في الفضل، وفضله تفضيلا أي مزاه.[4]

فالمعنى اللغوي يدور حول معنى الزيادة في الشيء، والترفع عن النقص.

أما الفضل في الاصطلاح فقد عرفه الإمام الجرجاني فقـال: " الفـضل: ابتداء إحسان بلا علة ".[5]

وعرفه الإمام الكفوي بأنه: "كثرة الثواب في مقابلة القلة" [1].

وقد ورد لفظ " الفضل " في القرآن الكريم ومشتقاته فـي مائـة وأربعـة مواضع.

والناظر في كلمة الفضل في القرآن الكريم يجد أنها جاءت فـي مواضـيع متعددة في القرآن الكريم، فقد جاءت في حديث القرآن عن تفضيل الرجال والنساء

---

(1) ابن فارس، أحمد بن فارس، "معجم مقاييس اللغة "، تحقيق عبد السلام هـارون، دار الجيل للنشر، ط1، 1991م، جـ4، ص508.

(2) ابن منظور، "لسان العرب "، دار الكتب العلميـة، ط1، 2003م، مـادة " فـضل "، جـ11، ص625.

(3) انظر الاصفهاني، الراغب (ت 425هـ)، " مفردات ألفاظ القرآن "، تحقيق صـفوان عدنان داوودي، دار القلم للنشر – دمشق، ط1، 1992، ص 639.

(4) الفيروز أبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 816هـ)، " القاموس المحيط" الهيئـة المصرية العامة، ط 3، 1980، ج 4، ص 30.

(5) الجرجاني، علي بن محمد (ت 816هـ)، " التعريفات "، دار الكتـاب العربـي، ط2، 1992م، ص 215.

(1) الكفوي، أبي البقاء بن موسى (ت 1094هـ)، "الكليات في المـصطلحات والفـروق اللغوية" مؤسسة الرسالة، ط 2، 1992، ص 184.

بعضهم على بعض، وتارة في تفضيل الدنيا علـى الآخـرة، وأخـرى بتفـضيل المجاهدين على غيرهم وتارة بتفضيل بعض الثمـار علـى بعـض، والتفـضيل بالرزق، وتفضيل المؤمنين، وتفضيل بني إسرائيل، وتفضيل الزمان والمكان.

ولكي يتضح مفهوم الفضل في القرآن الكريم، فقد قمت بتقسيم موضوعات الآيات التي جاء بها الفضل، وجمع الآيات في الموضوع الواحـد وبيـان أقـوال المفسرين فيها، وميزان التفاضل وسبب هذا التفاضل.

وأما ترتيب المباحث، فبدأت بتفضيل الأنبياء والمرسلين، ثم تفضيل بنـي آدم، ثم تفضيل المؤمنين، ثم تفضيل المجاهدين على سواهم، ثم تفـضيل الرجـال والنساء بعضهم على بعض، ثم تفضيل الآخرة على الدنيا، ثم التفضيل بالرزق، ثم تفضيل بعض الثمار على بعض في الأكل، ثم تفضيل الزمان والمكان، ثم تفضيل بني إسرائيل.

2.1 تفضيل الرسل والأنبياء.

ورد تفضيل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض في القرآن الكريم في عدة مواضع بالإجمال، واقتصر القرآن الكريم بالحديث عن عدد منهم.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرسلُ فَضلْنَا بعضهم علَى بعضٍ منْهم من كَلم اللّه ورفَع بعضهم درجاتٍ وآتَينَا عِيسى ابن مريم الْبينَاتِ وَأَيدنَاه بِروحِ الْقُدسِ ولَو شَاء اللّه ما اقْتَتَلَ الَذِين مِن بعدِهِم من بعدِ ما جاءتْهم الْبينَاتُ ولَـكِن اخْتَلَفُواْ فَمِنْهم

من آمن ومِنْهم من كَفَر ولَو شَاء اللّه ما اقْتَتَلُواْ ولَـكِن اللّـه يفْعـلُ مـا يرِيـد﴾ [البقرة/253].

فالآية الكريمة: هي إعلام من الله - عز وجل - بأن بعض الرسل أفـضل مـن بعض على وجه الإجمال، وعدم تعيين الفاضل من المفـضول. فقـد قـال النبـي – صلى الله عليه وسلم - : قال الله تعالى: " لا ينبغي لعبدٍ لي (وقال ابن المثنـى: لعبدي) أن يقول: أنا خير من يونس بن متى – عليه السلام – "[1].

وحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " لا تخيروا بين الأنبياء، فـإن النـاس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا بموسى أخذ بقائمـة من قوائم العرش فلا ادري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى"[2]

" والنهي في التفضيل بين الأنبياء هو للتفضيل التفـصيلي أمـا التفـضيل الإجمالي فلا حرج كقولك مثلاً: الرسل أفضل من الأنبياء"[3].

وفي هذه الآية قد خص جملة من الرسل والأنبيـاء بـصفات تعـين مـن المقصود منه أو بذكر اسمه فقوله: " منهم من كلم الله " هو موسى عليـه الـسلام لاشتهاره بذلك وقد ذكر القرآن الكريم ذلك. ثم ذكر سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – بالإيحاء بقوله " ورفع بعضهم درجات " ثم ذكر عيـسى عليـه الـسلام باسمه، ودرجات النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – كثيرة منها: عموم رسالته للبشرية، دوامها لقيام الساعة، ختمها للرسالات، المعجزات الكثيرة، ومشاهدة أمته لقبره، وإمكان اقترابهم منه، وائتناسهم به، وأما اقتران عيسى – عليه الـسلام – بالمعجزات وتأييده بروح القدس للرد على اليهود الذين أنكروا رسالته ومعجزاته، وعلى النصارى أيضاً الذين غلوا فزعموا أنه إله. [1]

---

(1) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب في ذكر يـونس – عليـه الـسلام -، ط2001م، حديث (2376).

(2) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات، باب من يذكر في الأشخاص والملازمة، حـديث (2412).

(3) انظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج3، ص 7.

(1) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ3، ص 5 – 9.

وفي موضع آخر بين تفضيل جملة أخرى من الأنبياء والمرسـلين فقـال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِسماعِيلَ والْيسع ويونُس ولُوطاً وكُلا فضلْنَا علَى الْعـالَمِين﴾ [الأنعام/86]. وقد أخر الله عز وجل ذكر هذا القسم من الأنبياء عن الذين سبقوهم في الآيات المتقدمة وهم: (داوود وسليمان ويوسف وموسى) لعـدم الخـصوصية، حيث لم يكن لهم من ملك الدنيا أو سلطانها كما كان لهؤلاء، ولا من المبالغة فـي الإعراض عن الدنيا كالقسم الثاني وهم: (زكريا ويحيى وعيسى واليـاس)، وأمـا التفضيل هنا فهو الذي جعله الله لكل نبي على عالمي زمانه، فمن كان منهم منفرداً في عصره فهو أفضل أهل عصره، وأما إذا كان نبيان في عـصر واحـد فهمـا متفاضلين في أنفسهم مع كونهم أفضل ذلك العصر، كفضل إبراهيم علـى لـوط المعاصر له وموسى على أخيه ووزيره هـارون، وعيـسى علـى ابـن خالتـه يحيى -عليه السلام -. [2]

وسياق هذه الآية الكريمة وما قبلها وما بعدها جاءت للحديث عن النعم التي أنعمها الله عز وجل على سيدنا إبراهيم – عليه السلام – فذكر قبل هذه الآية جملة من الأنبياء والمرسلين ووصفهم بالصلاح. ثم ذكر في هذه الآية إسماعيل واليـسع ويونس ولوطا، وقد ذكر في الآيات الكريمة ثمانية عشر نبياً من الأنبياء من غير ترتيب زمان أو فضل، ولكن يمكن تصنيفهم أن الله عز وجل ذكر نوحا وإبـراهيم وإسحاق ويعقوب باعتبارهم أصولاً لبقية الأنبياء المذكورين ثم ذكر مرتبة الملـك والسلطان فذكر داوود وسليمان – عليهما السلام – ثم ذكر من جمع بـين الملـك والصبر على المحن وهو سيدنا يوسف – عليه السلام – ثم مـن خـص بـذكر المعجزات الكثيرة وهما موسى وهارون – عليهما السلام – ثم ذكر طبقة الذين لم تبق شرائعهم ولا أتباعهم وهـم إسـماعيل واليـسع ويـونس ولـوط – علـيهم السلام –.[1]

---

(2) انظـر رضـا، محمـد رشـيد، (تفـسير المنـار)، دار المعرفـة، بيـروت، ج7، ص 587 – 588.

(1) انظر القاسمي، محمد جمال الدين، " محاسـن التأويـل "، دار الفكـر للنـشر، ط2، 1978م، جـ6، ص 613 – 614.

" وكلا فضلنا على العالمين " أي كل أولئك المذكورين من إسحاق إلى لوط – عليهم السلام – والمراد تفضيل كل واحد منهم على أهل عصره إلا إذا اجتمع معه آخر وتقدم عليه كاجتماع إبراهيم – عليه السلام – ولوط في عصر واحد لا شك تقدم إبراهيم – عليه السلام – وفضله على لوط. وإذا كانوا في عصر واحد ولا يعرف فضل أحدهم على الآخر فلا نستطيع التفضيل بينهم.(2)

وفي موضع آخر يقول الله عز وجل: ﴿ وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داوود زبوراً﴾ [الإسراء/55].

والآية الكريمة جاءت في معرض الحديث عن النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – في الرد على المشركين في إرسال رسول من البشر وأن يأتي بمثل ما أتى به موسى – عليه السلام – فهذه المقدمة كانت لقضية التفاضل وأن سيدنا محمداً – صلى الله عليه وسلم – ليس بدعاً من الرسل. ثم أعقبه بتخصيص داوود - عليه السلام – وسبب تخصيصه أن داوود – عليه السلام – أوحى الله إليه بالزبور وهذا الزبور جاء فيه أن الأرض لله يرثها عباده الصالحون، وفي ذلك إشارة تفضيل لسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – وأمته على غيره من الأمم.(3)

وفي موضع آخر يقول الله عز وجل: ﴿ ولقد آتينا داوود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين﴾ [النمل/15].

وهذه الآية فيها مظهر الأدب النبوي من داوود وسليمان – عليهما السلام – حيث قالا " فضلنا على كثير من عباده " فكأن هناك من هم أفضل منا وليس التفضيل محصوراً بنا. وهذا هو تواضع الأنبياء والمرسلين، فحمدا الله عز وجل على نعمه عليهما من نعمة العلم والحكم والنبوة ... الخ ".(1)

---

(2) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ 7، ص 343.

(3) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ 15، ص 136 – 137، وانظر الزمخشري، أبي القاسم جار الله، " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل "، دار المعرفة، (د، ط، ت)، جـ2، ص 364.

(1) الشعراوي، محمد متولي، " تفسير الشعراوي "، جـ17، ص 10753.

كما ورد الفضل أيضاً في حق نبي الله يوسف – عليه السلام – حيث قال الله تعالى: ﴿ واتبعتُ مِلةَ آبآئِـي إِبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب ما كان لنَا أَن نـشْرِك بِاللّهِ مِن شَيءٍ ذَلِك مِن فَضل اللّهِ علَينَا وعلَى النـاسِ ولَـكِن أَكْثَـر النـاسِ لاَ يشْكُرون﴾ [يوسف/38].

حيث ذكر يوسف – عليه السلام - هنا لصاحبه في السجن، أنه على ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب وهؤلاء أمرهم مشهور في الدنيا، وذلك ليسمعوا له ويطيعوا أمره وحتى يكون لكلامه تأثير في قلوبهم، وما جاء به آباؤه هو التوحيد وعبادة الله – عز وجل – وذلك فضل الله عليهم بالوحي وفضله على الناس بإرسالهم لهم لتعليمهم وتثبيتهم على الحق وهذه نعمة تستوجب الشكر ولكن أكثر الناس تركوا ذلك وعبدوا غيره.(2)

وفضل النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – جاء في العديد من المواضع منها قوله تعالى: ﴿ ولَئِن شِئْنَا لَنَذْهبن بِالَّذِي أَوحينَا إِلَيك ثُم لاَ تَجِد لَك بِـهِ علَينَـا وكِيلاً{86} إِلا رحمةً من ربك إِن فَضلَه كَان علَيك كَبِيراً﴾ [الإسراء/86-87].

وخوطب النبي – صلى الله عليه وسلم – بذلك لأن علمه أعظم علم، وهذا إيماء إلى أن القرآن الكريم باقٍ وتكفل من الله عز وجل بحفظه، فالله عز وجل لا يحرمنك فضل الذي أوحاه إليك.(3)

وقد جاء في فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – عدد كبير من الأحاديث التي تشير إلى فضله ومنها: قوله – صلى الله عليه وسلم -: " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع" (1)، وحتى الحجر كان يسلم عليه قبل بعثته مما يدلل على فضله فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: " إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن" (2)، وقد

---

(2) انظر الشربيني، الخطيب، " السراج المنير "، علق عليه أحمد عزو، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2004م، جـ3، ص 158.

(3) ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ15، ص 201 – 202.

(1) اخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا – صلى الله عليه وسلم – على جميع الخلائق، من حديث ابي هريرة، حديث (2278)، ط 1، 2000.

(2) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي – صلى الله عليه وسلم – وتسليم الحجر عليه، من حديث جابر بن سمرا، حديث (2276).

فضل النبي – صلى الله عليه وسلم – على الأنبياء بعدد من الخصال، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: " فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" (3)، وفي رواية أخرى " أوتيت بمفاتح خزائن الأرض فوضعت في يدي".

والخلاصة: يتضح لنا أن فضل الأنبياء والمرسلين بعضهم على بعض في القرآن الكريم جاء مجملاً ولم يأت بتفضيل نبي بعينه على غيره. لأن كل واحد من الأنبياء له من المكانة العالية عند الله عز وجل، وكلاً منهم صبر وتحمل في سبيل الدعوة إلى عبادة الله عز وجل. ومن هنا لا نفرق بين أحد من رسله في التفضيل والتميز، فمن مستلزمات العقيدة الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً دون تفريق، فلو كفر بواحد منهم لا يصح إيمانه ومن هنا نرى أن الإسلام رفع مكانة الأنبياء والمرسلين.

3.1 تفضيل بني آدم.

إن الإنسان من مخلوقات الله عز وجل، ولهذا المخلوق كرامته عند الله تعالى، حيث فضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، قال تعالى: ﴿ولَقَد كَرمنَا بنِي آدم وحملْنَاهم فِي الْبر والْبحرِ ورزقْنَاهم من الطيباتِ وفَضلْنَاهم علَى كَثِيرٍ ممن خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء/70].

وقد جمعت هذه الآية الكريمة خمس نعم على بني آدم وهن: التكريم، وتسخير المراكب في البحر، وتسخير المراكب في البر، والرزق من الطيبات والتفضيل على كثير من المخلوقات التي خلقها الله عز وجل.

والفرق بين التفضيل والتكريم. أن التكريم منظور إلى ذاته، وأما التفضيل فينظر فيه إلى تشريف بني آدم فوق غيره، فقد فضله الله عز وجل بالعقل وقوله "

(3) أخرجه مسلم، كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، من حديث أبي هريرة، حديث (523).

على كثير ممن خلقنا " يعلم منه أن هناك مخلوقات غير مفضل عليها بنو آدم فقد تكون مساوية له أو أفضل إجمالاً وهذا الصنف مسكوت عنه فلا يبحث عنه.(1)

فالله عز وجل فضل الإنسان على سائر الحيوانات بأمور خلقية مثل العقل والنطق والخط والصورة الحسنة ثم عرفه بواسطة العقل الذي منحه إياه والفهم لاكتساب العقائد الحقة والأخلاق الفاضلة، فمنحه الأمور الخلقية هذا هو التكريم. وأما الثاني وهو العقل والفهم للوصول إلى الحقائق فهذا هو التفضيل.(2)

وفي الواقع أن مسألة تكريم بني آدم تدل على أهمية هذا الجنس البشري. فقد سخر الله عز وجل له ما في الكون جميعاً لخدمته. ومن الملفت للانتباه في تكريم هذا المخلوق أن الله عز وجل خلق الكون كله بكلمة " كُن " وكذلك آدم – عليه السلام – فقد خلقه الله عز وجل بيده ونفخ فيه من روحه فقال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص/75].

4.1 تفضيل المؤمنين.

ورد تفضيل المؤمنين في القرآن الكريم في عدة مواضع، فمرة جاء بالرزق قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللّهِ ﴾ [آل عمران73] وأخرى باجتناب سبل الشيطان قال تعالى: ﴿ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء83] ومرة بالعفو قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران/152].

فإن الله عز وجل قد عامل أصحاب رسوله – صلى الله عليه وسلم – بالفضل فقال: " ولقد عفا عنكم " وهذه بشارة من الله لهم، وأنواع هذا الفضل كثيرة

---

(1) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ15، ص 164 – 166.

(2) انظر الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، (ت 1270 هـ)، " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني "، دار إحياء التراث العربي، (د، ط، ت)، جـ15، ص 118.

بالعفو وقبول التوبة، وهذه الآيات فيها تفصيلات عن حـال أهـل الإيمـان فـي المحن.[1]

وهذا العفو في الآية لأنهم تصوروا أن المعركة انتهت (وهي أحد) بـسقوط راية الكفر، ولكن كان الواجب الانتظار كما أمرهم رسول الله – صلى الله عليـه وسلم – إذا غنمنا فلا تشاركونا وإذا قتلنا فلا تنصرونا، ولكن الله من عليهم بالعفو والمغفرة سبحانه وتعالى [2].

وفضل الله على المؤمنين عظيم يتمثل: فيما أعد لهم مـن جنـات النعـيم، والتجاوز عن سيئاتهم، ويتمثل هذا الفضل أن من يدخل الجنة من أمة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – أكثر من الأمم الأخرى، فقد قـال- صـلى الله عليـه وسلم -: " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفـا، زمـرةً واحـدة، علـى صـورة القمر" [3]. وقال – صلى الله عليه وسلم -: " أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة " [4]. وقد قال أيضاً – صلى الله عليه وسـلم - :" أمـا ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة، قال: فكبرنا، ثم قال: " أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قال: فكبرنا ثم قال: " إني لأرجو أن تكونوا شطر أهـل الجنـة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسـود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض "[1]. ويتمثل أيضاً أن هذه الأمة شاهدة على حساب الأمم الأخرى، ويتمثل أنها أول الأمم دخولاً الجنة، ويتمثل أيـضاً فـي شـفاعته – صلى الله عليه وسلم – لأمته يوم القيامة، فقد قال النبـي – صـلى الله عليـه وسلم- : " لكل نبي دعوة يدعوها، فأريد أن أختبئ دعوتي شـفاعة لأمتـي يـوم

---

(1) حوى، سعيد، " الأساس في التفسير "، جـ2، ص 901.

(2) الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ3، ص 1820.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب، من حديث أبي هريرة، حديث (218).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أنا أول من يشفع، من حديث أنس بن مالك، حديث (196).

(1) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، حديث (221).

القيمة " [2] فهذا فضل عظيم من الله عز وجل، وفي الدنيا يتمثل أن المؤمن يغفـر الله له بما يعتريه من الآلام وأحزان وتعب حتى الشوكة تصيبه فيغفر له الله عـز وجل بذلك، فقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم -: " مـا مـن شـيء يـصيب المؤمن، حتى الشوكة تصيبه، إلا كتب الله له بها حسنة، أو حطت عنه بها خطيئة " [3] فهذا فضل من الله عز وجل على المؤمنين، وأعظم فضل على المؤمنين هي رؤيته يوم القيامة، فإن فضل الله على المؤمنين لا يعد ولا يحـصى فـي الـدنيا والآخرة.

وفضل أبي بكر – رضي الله عنه – على الصحابة كبير، فعن ابن عمر – رضي الله عنهما – " كنا نخير بين الناس في زمن النبي – صلى الله عليه وسلم - ، فنخير أبا بكر، ثم عمر بـن الخطـاب، ثـم عثمـان بـن عفـان – رضـي الله عنهم –".[4]

5.1 تفضيل المجاهدين في سبيل الله على غير أصحاب الأعذار من القاعدين.

شرع الله عز وجل الجهاد لحفظ الـضروريات الخمـس، ودفاعـاً عـن المقدسات، وحفظاً للأوطان من أي اعتداء عليها، وأعد الله عز وجل منزلةً عظيمة للمجاهدين في سبيله لإعلاء كلمته في الدنيا والآخرة، وتتمثل هذه المنزلة العظيمة وهذا الفضل الكبير، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: " مـن آمـن بـالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقاً علـى الله أن يدخلـه الجنـة، وجاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها، فقالوا يا رسول الله: " أفلا نبشر الناس؟ قال: " إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سـبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإن سألتم الله فأسالوه الفردوس، فإنـه

---

(2) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب اختباء دعوة الشفاعة، حديث أبي هريـرة، حـديث (198).

(3) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المـؤمن بمـا يـصيبه، مـن حـديث عائشة – رضي الله عنها -، حديث (2573).

(4) أخرجه البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم -، باب فـضل أبي بكر، حديث (3655).

أوسط الجنة، وأعلى الجنة – آراه – وفوقه عرش الرحمن، ومنـه تفجـر أنهـار الجنة ". [1] وقال صلى الله عليه وسلم: " رأيت الليلة رجلين أتياني، فـصعدا بـي الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أر قط أحسن منها، قالا: "أما هـذه الدار فدار الشهداء ". [2]

ومن الميزات في الدنيا والآخرة قوله صلى الله عليه وسلم: " والذي نفـسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامـة، واللون لون الدم والريح ريح المسك ".[3]

ثم جاءت المفاضلة بين درجة من يخرج للجهاد عن غيره مـن القاعـدين بغير عذر وفي ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ لا يستَوِي الْقَاعِدون مِن الْمؤْمِنِين غَير أُولِي الضررِ والْمجاهِدون فِي سبِيلِ اللّهِ بِأَموالِهِم وأَنفُسِهِم فَضلَ اللّـه الْمجاهِـدِين بِأَموالِهِم وأَنفُسِهِم علَى الْقَاعِدِين درجةً وكُـلا وعد اللّـه الْحـسنَى وفَـضلَ اللّـه الْمجاهِدِين علَى الْقَاعِدِين أَجراً عظِيماً﴾ [النساء/95].

فقوله تعالى: " لا يستوي " يدل عدم الاستواء بين شيئين، وأن عكس كلمة " قاعدون " قائمون ولكن الله عز وجل لم يذكر كلمة قائمون ولكنه قال " المجاهدون ". للدلالة على أن المجاهد حاله دائماً القيام لأنه دائماً متنبه مستعد.[4]

كما أن من البديهي أن المجاهد لا يستوي مع القاعد فلماذا جاء التأكيد على ذلك؟ وما الفائدة ؟

جاء التأكيد على ذلك مع أنه أمر بدهي للإشارة إلى لفت نظر كل مـؤمن لمسؤولياته.[1]

---

(1) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سبيل الله، حـديث 2790، من حديث ابي هريرة رضي الهل عنه، دار الكتب العلمية، بيـروت، 2001 (د، ط)، ص 515.

(2) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين في سـبيل الله، مـن حديث سمره، حديث 2791.

(3) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله، من حديث أبـي هريرة، حديث 2803.

(4) انظر الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي"، أخبار اليـوم، (د، ط، ت)، ج4، ص 2568 – 2569.

كما وعد الله عز وجل بالحسنى لصنفين في الآية الكريمة وهما: المجاهـد القائم بتفضيله درجات وإعطاء القاعد الـذي أصـابه ضـرر (مـن مـرض أو عمى ...الخ) درجة. لأن من أصابه الله بمرض أو عمى ونحوه فصبر على حكم الله لا شك أن الله سيعطيه الثواب على ذلك. [2]

والتفضيل بين الفريقين من ذكر عدم استوائهما إجمالاً لبيـان كيفيـة هـذا التفضيل وكميته، وذلك لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات مـساعيهم في الجهاد[3]. فالآية الكريمة فيها تفضيل للمجاهدين على صنفين من القاعدين:

أولهما: القاعدون غير أولي الضرر وتفضيلهم عليهم بدرجات وأجر عظيم.

ثانيهما: القاعدون أصحاب الأعذار والضرر فهؤلاء فضلوا عليهم بدرجة.

وسبب هذا التفضيل يظهر من خلال المدح الذي أضافه الله عز وجل إليهم بقوله: " المجاهدين بأموالهم وأنفسهم " كما أن الفرق الكبير في الأجر وخاصة بين المجاهدين وغير أولي الضرر من القاعدين يدل على جـرم هـؤلاء القاعـدون وتركهم للجهاد في سبيل الله عز وجل مع العلم بأجر الشهيد ومنزلته عند الله عـز وجل التي جاءت في مواضع عديدة من القرآن الكريم وأحاديث النبي صـلى الله عليه وسلم التي ذكرنا بعضاً منها.

6.1 تفضيل الرجال والنساء بعضهم على بعض.

خلق الله عز وجل آدم وخلق له زوجه حواء ليسكن إليهـا، وفـضل هـذا الجنس البشري وجعل فيه الصفات التي تؤهله للاستخلاف فـي الأرض، وهـذا النوع البشري يتكون في طبيعة الحال من الذكر والأنثى، وكل جنس له طبيعتـه

---

(1) اشار لذلك الشعراوي عند تفـسيره لهـذه الآيـة، انظـر تفـسير الـشعراوي، ج4، ص 2569.

(2) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ4، ص 2566 – 2570.

(3) انظر أبي السعود، محمد بن محمد العمادي، (ت 951هـ)، " إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم "، دار إحيـاء التـراث العربـي للنـشر، (د، ط، ت)، جـ 1، ص 220 – 221.

ومهمته التي كلفه الله عز وجل بها في الدنيا، ولكن البعض يظن تقديم جنس منهما على الآخر على الإطلاق، ثم يدلل على ذلك بقوله تعالى: ﴿الرجالُ قَوامون علَـى النساء بِما فَضلَ اللّه بعضهم علَى بعضٍ وبِما أَنفَقُواْ مِن أَموالِهِم فَالصالِحاتُ قَانِتَاتٌ حافِظَاتٌ لِّلْغَيبِ بِما حفِظَ اللّه ...﴾ [النساء/34].

إن كثيراً من الناس يظن أن هذه الآية تتحدث عن الزوج والزوجـة فقـط، وحق قوامته عليها، ولكن من يمعن النظر فيها يجد أنها تتحدث عن مطلق الرجال والنساء، فهي ليست مقتصرة على الزوج وزوجته، فالأب قوام على بناتـه، والأخ على أخواته، كما أن الحديث عن الأزواج في هذه الآية بقوله ﴿قَوامون﴾ لا يفهـم منها السيطرة للرجل على المرأة، ففي هذه الآية تفضيل للرجـل والمـرأة معـاً، فالرجل هو الذي يشقى ويتعب وعبر عنه القرآن الكريم بقوله (قوام) وليس (قائم) والقوام صيغة مبالغة تدل على دوام التعب والمشقة حتى يـوفر للمـرأة الراحـة واحتياجاتها، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ذكر في قصة آدم عليه السلام محـذراً آدم – عليه السلام – أن يضله الشيطان فيخرج من الجنة " فيشقى " ولـم يقـل " فتشقيان " وفي المقابل المرأة تقوم بتوفير الراحة والسكن للزوج حتى يقوم بمهمـة القوامة.[1]

فما هو وجه التفضيل (المشترك بين الزوجين) بقوله " بعضهم على بعض " كونه قوام، ولكنه لم يغفل حق المرأة وفضلها في أنها شريك الرجل وهـي مـن تخفف عنه بالسكن مشقة القوامة.

ثم ذكر وجه آخر لهذا التفضيل (المشترك بين الزوجين) وهو " وبما أنفقوا من أموالهم " والمال يأتي نتيجة الحركة والتعب، فالمشقة والتعب للرجـل الـذي يناسب طبيعة هذه المشقة، أما المرأة فمن صفاتها الرقة والحنان والعطف، وهـذه القوامة دائمة مستمرة للزوجة ما بقيت الزوجية قائمة بين الزوجين.

لذلك بعد ما ذكر القرآن في الآية الكريمة سبب هـذا التفـضيل وحيثياتـه أوجب على المرأة الصالحة التي تطيع الزوج وتسره إذا نظر إليها وتحفظـه فـي

(1) انظر الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي "، أخبار اليوم، (د،ط،ت)، ج4، ص 2192 – 2194.

غيبته، أن تحفظ عليه ماله الذي اكتسبه بالكد والجهد وأن تحفظ نفسها من الفاحشة ثم وضع حلولاً للصنف الآخر من النساء المتوقع نشوزهن.(1)

والتفضيل في هذا السياق هو " المزايا الجبلية التي تقتضي حاجة المرأة إلى الرجل في الذب عنها وحراستها لبقاء ذاتها، وعبر عن الإنفاق بالفعـل الماضـي " أنفقوا " بمعنى أن المجتمعات السابقة منذ فجر البشرية مقرر فيها إنفاق الرجـل على المرأة، وإضافة الأموال إلى الرجال " أموالهم " لأن الاكتـساب مـن شـأن الرجل في الغالب كما كان قديما بالصيد والغارات، وإن كانت المرأة أيضاً تكسب الأموال من عمل ولكن الرجال اعم في ذلك، ومن بديع الإعجـاز صـوغ قولـه تعالى: ﴿بِما فَضلَ اللّه بعضهم علَى بعـضٍ ﴾ فـي قالـب صـالح للمـصدرية والموصولية، فالمصدرية مشعرة بأن القيامية سـببها تفـضيل مـن الله وإنفـاق، والموصولة مشعرة بأن سببها ما يعلمه الناس من فضل الرجـال ومـن إنفـاقهم ليصلح الخطاب للفريقين: عالمهم وجاهلهم ".(2)

والله سبحانه وتعالى ذكر قبل ذلك هذا التفضيل في نفـس الـسورة فقـال تعالى: ﴿ولاَ تَتَمنواْ ما فَضلَ اللّه بِهِ بعضكُم علَى بعضٍ للرجال نَصِيب مما اكْتَسبواْ وللنساء نَصِيب مما اكْتَسبن واسأَلُواْ اللّه مِن فَضلِهِ إِن اللّه كَان بِكُلِّ شَيءٍ علِيمـاً﴾ [النساء/32]. وقد جاء النهي في هذه الآية الكريمة عن التمني الذي يفـضي إلـى الحسد الذي هو من الجرائم السابقة على وجه الأرض، كما يمكن أن يكون المراد من هذه الآية ما يتعلق بأحوال الدنيا والآخرة، أو ما يتعلق بهما، والأول ما يتعلق بتقرير نصيب النساء في الميراث والرد على أهل الجاهلية الذين كانوا يحرمـون النساء من الميراث، والثاني ما يتعلق بالأعمال موجبة برفع الدرجات في الآخـرة لكل من الرجل والمرأة وقد يكون المراد كل هذه الوجوه.(1)

---

(1) انظر الشعراوي، محمد متولي، " تفسير الـشعراوي "، أخبـار اليـوم، (د، ط، ت)، جـ4، ص 2192 – 2201.

(2) انظر ابن عاشور، محمد الطاهر، " التحرير والتنوير "، الدار التونسية للنشر، (د، ط)، 1984م، مج 3، جـ5، ص 39.

(1) انظر بتصرف، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيـب"، دار الفكر للنشر، ط1، 1981، مجلد 5، ج 5، ص 857.

وقد ينقدح الحسد من الإناث للرجال في قسمة الميراث أحياناً كما في قوله: " للذكر مثل حظ الأنثيين " ولكن هذا التفضيل سببه أن الرجل كما سبق هو صاحب القوامة الدائمة على المرأة سواء أكانت زوجة أم بنتاً أم أماً أم أختاً، فالمرأة مسؤولة منه فإن زيادته في الميراث في حقيقتها ستنصرف لهن للإنفاق على الزواج أو النفقة عليهن والله عز وجل يقول: ﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ﴾ [البقرة/233].

وتجد البعض أيضاً قد يحتج بقول امرأة عمران كما في قوله تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾ [آل عمران/36] على تفضيل الذكر على الأنثى، وإن من يمعن النظر في الآيات الكريمة وسياقها وقصة آل عمران يجد أن الآيات الكريمة ليس فيها معنى تفضيل الذكر على الأنثى.

إن امرأة عمران نذرت لله أن يكون ما في بطنها محررا لعبادته، فقد حبسته على خدمته ﴿محرراً﴾ أي خادماً للبيعة والكنيسة، ومعنى ليس الذكر كالأنثى أن الذكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأن الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة، لما يعتريها من الحيض والنفاس(2) والذي أخلص إليه في هذا المبحث أنه لا يوجد تفضيل للرجال على النساء أو العكس تفضيلاً مطلقاً، إنما كلٌ يفضل الآخر بجوانب بحسب فطرته وقدرته التي خلقه الله عز وجل فيه، وكل منهما يكمل الآخر.

7.1 تفضيل الآخرة على الدنيا.

من المعلوم أن الله عز وجل جعل الدنيا للإنسان بمثابة دار للعمل، والاستخلاف، والقيام على طاعة الله، وجعل الدار الآخرة دار الجزاء، وأعد فيها كل ما تشتهيه الأنفس، وتقربه الأعين من النعيم، جزاءً بما كانوا يعملون في الدنيا،

(2) انظر الطبري، محمد بن جرير (ت 310هـ)، " جامع البيان في تأويل القرآن "، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ج3، ص234 – 237.

فالآخرة أعظم من الدنيا في النعيم، لذلك وجهنا الله عز وجل للإقبال على الآخرة، والإيثار بها عن الدنيا، فقال عز وجل: ﴿ بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى/16-17]. ووجه النبي – صلى الله عليه وسلم – وأمته إلى خيرية الآخرة من جميع الوجوه فقال تعالى: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى﴾ [الضحى/4]. ثم يبين الله عز وجل درجات هذا التفضيل في الآخرة، فيقول تعالى: ﴿ انظُر كَيفَ فَضلْنَا بعضهم علَى بعضٍ وللآخِرةُ أَكْبر درجاتٍ وأَكْبر تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء/21].

إن التفاضل في هذه الآية جاء عاماً. لذلك لم يقل الله عز وجل فضلت الأغنياء على الفقراء أو الأصحاء على المرضى – لا بل جعله عاماً. ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن المفاضلة بين الناس ينظر إليها من كل الجوانب فقد يكون شخص (ما) أفضل من آخر في الرزق. ولكن الآخر أفضل منه في الصحة وهكذا.

فما هو أساس المفاضلة بين الناس اليوم؟ إن أساس المفاضلة بينهم اليوم هي في حظوظ الدنيا من المال، والجاه، والسلطان، وملذات الدنيا، حيث أنهم لا ينظرون إلا إلى هذه الجوانب في الغالب.

وكما أن المفاضلة بين الناس في الدنيا متفاوتة بحسب حال الإنسان ومن الجوانب كلها. فكذلك التفاضل يوم القيامة، قائم على حال الإنسان في الدنيا. فالآخرة درجات. فكلما زاد صلاح الإنسان وتمسكه بأسباب النجاة كان أيضاً ترتيب الدرجات على أساسه. (هذا من جانب).

ومن جانب آخر فالآخرة تختلف عن الدنيا إذا ما أردت المفاضلة بينهما، فالدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، والدنيا العمر فيها محدود، أما الآخرة فحياة بلا موت، النعم في الآخرة أعظم على الإنسان في جسده وطعامه وشرابه وسكنه وأزواجه ... الخ. [1]

وحتى في النار هي دركات، ليس كل من فيها بنفس الدركة، فالمنافقين في الدرك الأسفل من النار. والتفاضل في درجات الآخرة بالنسبة لدرجات الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا، فالإنسان الذي تشتد رغباته للدنيا الواجب عليه أن يكون

(1) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ14، ص 8441 – 8446.

طلبه للآخرة أولى. كما يفهم من تفضيل الآخرة على الدنيا في هذا السياق، فـضل المؤمنين على الكافرين، لأنه في الآخرة يدخل المؤمنون الجنة، ويدخل الكـافرون النار فيظهر التفاضل بينهم. (2)

وهذا التفضيل في الآخرة هو من فضل الله عز وجل علـى النـاس قـال تعالى: ﴿الَّذِي أَحلنَا دار الْمقَامةِ مِن فَضلِهِ لَا يمسنَا فِيها نَصب ولَـا يمـسنَا فِيهـا لُغُوب﴾ [فاطر/35]. ودار المقامة هي دار الإقامة الدائمة، فالدنيا ما هي إلا معبر للآخرة، فهذه الجنة جعلها الله محلاً لهم لا بأعمالهم إنما بفضل الله وتكريمه.(3)

والسؤال المطروح الآن: هل دخول الجنة بالعمل أم برحمة الله تعالى؟ وما هي فائدة العمل؟

تشير الآية الكريمة السابقة إلى أن دخول الجنة هو بفضل الله ورحمته، كما أشار لذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: " لا يدخل أحداً منكم عملـه الجنة، ولا يجيرهم من نار، ولا أنا، إلا برحمة من الله " (4) والله عز وجل يقول: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الـذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ﴾ [الأعراف/43]. وقال تعـالى: ﴿وتلـك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾ [الزخرف/72].

فكيف نوفق بين الآيات والحديث؟ إن من يمعن النظر في الآية الأولى يجد أن العمل لا يوجب دخول الجنة لذاته، وإنما يوجبه لأجل أن الله تعـالى بفـضله جعله علامة عليه ومعرفة له، والله عز وجل هو الموفي للعمل الصالح، لذلك كان دخول الجنة في الحقيقة ليس إلا بفضل الله "(1). والناظر في الآية الثانية يجـد أن المعنى أن حظوظهم منها على قدر أعمالهم، وأما نفس دخول الجنـة فبـضل الله

---

(2) انظر الرازي، فخر الدين، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب "، جـ20، ص 183.

(3) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ20، ص 12521.

(4) أخرجه مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعملـه بـل برحمة الله، حديث جابر، حديث (2817).

(1) انظر الرازي، فخر الدين، (ت 604هـ)، " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب "، دار الفكر للنشر، ط1، 1981، ج14، ص 87.

تعالى، وليس المعنى أن الأعمال أوجبت على الله إدخالهم الجنـة "[2]، ونعـم الله تعالى على الإنسان كثيرة لا تعد ولا تحصى إذا ما قيست بأعماله، فإنهـا تفـوق أعمال الإنسان لذلك هو في حاجة لفضل الله ورحمته.

وأما الحديث، فلا تعارض بينه وبين الآيات، لأن الحديث يفسر ما أجمـل في الآيات، والمعنى مع رحمة الله، وبرحمة الله، إذ من رحمة الله وتوفيقه للعمـل وهدايته للطاعات، وإنه لم يستحقها بعمله، إذ الكل من فضل الله.[3]

8.1 التفضيل في الرزق.

ورد التفضيل في الرزق في القرآن الكريم تحدث الله عز وجل فيهـا عـن تفضيل بعض الناس على بعض في مسألة الرزق ومنها قوله تعالى: ﴿واللّه فَضلَ بعضكُم علَى بعضٍ فِي الْرزقِ فَما الَّذِين فُضلُواْ بِرآدي رزقِهِم علَـى مـا ملَكَـت أَيمانُهم فَهم فِيهِ سواء أَفَبِنِعمةِ اللّهِ يجحدون﴾ [النحل/71].

هذا مثل ضربه الله للمشركين ومعناه: أنكم لا ترضون أن تـسووا بيـنكم وبين عبيدكم فيما أنعم الله عليهم. ولا تجعلونهم شركاء معكم، فكيف ترضـون أن تجعلوا عبيدي شركاء لي وتعتقدون أنني راضٍ عن ذلك.[4]

وبين الله عز وجل حجة المشركين في ذلك، فالله عز وجل رزق هذا أكثر من هذا وجعل هذا مالكاً وهذا مملوكاً. وهذا لا يملك شيئاً، والذين رزقهم الله عـز وجل لا يريدون أي لا يعطون هذا الرزق لعبيدهم حتى يكونوا معهم وكـان هـذا جحود للنعمة منهم. فرد الله عز وجل عليهم بهذا المثل كونهم يشركون به مـا لا يرضى به.[1]

---

[2] انظر ابن عطيه، أبي محمد عبد الحق، (ت 546هـ)، " المحرر الوجيز فـي تفـسير الكتاب العزيز "، دار الكتب العلمية، ط1، 1993، ج5، ص 64.

[3] اليحصبي، قاضي عياض، (ت 544هـ)، " إكمال المعلم بفوائد مـسلم "، تحقيـق د. يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط1، 1998، ج 8، ص 353.

[4] انظر سعيد حوى، " الأساس في التفسير "، دار الـسلام للنـشر، ط1، 1985، ج6، ص 2959.

[1] انظر سعيد حوى، " الأساس في التفسير "، جـ6، ص 2959.

وأما عن تفاوت الناس في الرزق وأسباب ذلك فيقول سيد قطب: " واللمسة الثانية في الرزق. والتفاوت فيه ملحوظ، والنص يرد هذا التفاوت إلى تفـضيل الله لبعضهم على بعض في الرزق، ولهذا التفضيل في الرزق أسبابه الخاضعة لـسنة الله. فليس شيء من ذلك جزافاً ولا عبثاً، وقد يكون الإنسان مفكراً عالماً عـاقلاً، ولكن موهبته في الحصول على الرزق وتنميته محدودة، لأن له مواهب في ميادين أخرى. وقد يبدو غبياً جاهلاً ساذجاً. ولكن موهبته فـي الحـصول علـى المـال وتنميته. والناس مواهب وطاقات فيحسب من لا يدقق أن لا علاقة للرزق بالمقدرة وإنما هي مقدرة خاصة في جانب من جوانب الحياة، وقد يكون بـسطة الـرزق ابتلاء من الله، كما يكون التضييق فيه لحكمة ويحققها الابتلاء، وعلى أية حال فإن التفاوت في الرزق ظاهرة ملحوظة تابعة لاختلاف في المواهب وذلك حين تمتنـع الأسباب المصطنعة الظالمة التي توجد في المجتمعات المختلة والنص يشير إلـى هذه الظاهرة التي كانت واقعة في المجتمع العربي ويستخدمها في تصحيح بعـض أوهام الجاهلية الوثنية التي يزاولونها، والتي سبقت الإشارة إليها، وذلك حين كانوا يعزلون جزءاً من رزق الله الذي أعطاهم ويجعلون لآلهتهم المدعاة. فهـو يقـول عنهم هنا: إنهم لا يردون جزءاً من أموالهم على ما ملكت أيمانهم مـن الرقيـق. (وكان هذا أمراً واقعاً قبل الإسلام) ليصبحوا سواء في الرزق. فما بالهم يـردون جزءاً من مال الله الذي رزقهم إياه على آلهتهم المدعاة ؟ " أفبنعمة الله يجحـدون " فيجازون النعمة بالشرك بدل الشكر للمنعم المتفضل الوهاب ".(2)

كما عبر الله عز وجل عن الرزق بالفضل في أكثر مـن موضـع كقولـه تعالى: ﴿ولاَ يحسبن الَذِين يبخَلُون بِما آتَاهم اللّه مِن فَضلِهِ هو خَيراً لهم بلْ هو شَر لهم سيطَوقُون ما بخِلُواْ بِهِ يوم الْقِيامةِ ولِلّهِ مِيراثُ السماواتِ والأَرضِ واللّه بِمـا تَعملُون خَبِير﴾ [آل عمران/75] وقوله: ﴿الَذِين يبخَلُون ويأْمرون النـاس بِالْبخْـل ويكْتُمون ما آتَاهم اللّه مِن فَضلِهِ وأَعتَدنَا لِلْكَافِرِين عـذَاباً مهينـاً﴾ [النـساء/37] وقوله: ﴿ الله الَذِي سخر لَكُم الْبحر لِتَجرِي الْفُلْك فِيهِ بِأَمرِهِ ولِتَبتَغُوا مِـن فَـضلِهِ ولَعلَكُم تَشْكُرون﴾ [الجاثية/12] وغيرها.

---

(2) قطب، سيد، " في ظلال القرآن "، دار الشروق، القـاهرة، ط10، 1981م، جـ14، ص2182 – 2183.

9.1 تفضيل بعض الثمر على بعض في الأكل.

ذكر الله عز وجل هذه المسألة في سورة الرعد حيث قال عز وجل: ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد/4].

حيث يبين الله عز وجل في هذا الموضع بلاغة القرآن الكريم في ذكر النعم الدالة على قدرة الله عز وجل فيما ألهم الناس من العمل في الأرض بفلحها وزرعها والقيام عليها. وقد وصف الله عز وجل القطع من الأرض بأنها متجاورة لأن اختلاف الألوان والمنابت مع التجاور أشد دلالة على قدرة الله عز وجل. والصنو هي النخلة المجتمعة مع نخلة أخرى نابتتين في أصل واحد. ووصف النخل دون غيره بصفة صنوان لأن العبرة بها أقوى. واختلاف طعم الثمار من الجنس الواحد وتفاضلها مع أن الأصل واحد والماء واحد هو لقوى خفية أودعها الله فيها فجاءت آثارها مختلفة. [1]

وفي قوله تعالى: " نفضل بعضها على بعض في الأكل ... " يدل على عدم التفضيل المطلق بين أمر وآخر. فهذا يعني أن كلاً منهما مفضل من ناحية ومفضول عليه من ناحية أخرى. كما أن نفس الإنسان قد يطلب صنفاً من الثمار في وقت لا تطلب غيره ولو كان موجود، فهو مفضل في هذا الوقت على غيره[2].

وهذا التفاوت في الثمار مع التشابه في المصادر لأدلة باهرة على وجود الله عز وجل وقدرته، فالاختلاف في الثمار في أشكالها وألوانها وطعومها حلاوة وحموضة ومرارة وعذوبة وتلوناً، مع أنها تستمد من طبيعة واحدة. وهو الماء والأرض فيها دلالات لقوم يتدبرون ويتفكرون فيها. [1]

---

(1) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ13، ص 85 – 88.

(2) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ12، ص 7204.

(1) انظر الزحيلي، وهبه، " التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج "، دار الفكر للنشر، ط2، 1998م، جـ13، ص 107.

10.1 تفضيل الزمان والمكان.

خلق الله تعالى الزمان والمكان، وجعل لبعض العبادات أوقاتاً مخصوصة، وأماكن مخصوصة، تزيد في الفضل على غيرها، من حيث الزمان والمكان، ومن هذه الأوقات والأماكن: تفضيل شهر رمضان المبارك على بقية الشهور، وتفضيل ليلة القدر على سائر الليالي، وتفضيل العشرة من ذي الحجة، وتفضيل يوم الجمعة على سائر الأيام، وتفضيل يوم عرفة، وأما المكان فقد فضل الله عز وجل مكة المشرفة على غيرها، كما فضل مدينة المصطفى – صلى الله عليه وسلم -، وبيت المقدس، وفي ذلك يقول الله – عز وجل -: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾ [البقرة/185]، ولما خص الله هذا الشهر بهذه العبادة، وهي الصيام بين العلة لهذا التخصيص، وهو أن الله – عز وجل – خصه بأعظم آيات الربوبية، وهو أنه أنزل فيه القرآن[2]. وأختير شهر رمضان من بين الأشهر، لأنه شرف بنزول القرآن فيه، فأن نزول القرآن لما كان لقصد تنزيه الأمة وهداها ناسب أن يكون ما به تطهير للنفوس[4]. وقد ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم – فضل شهر رمضان فقال: " إذا جاء شهر رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين "[5]، فأي فضل على المسلمين يحل به مع قدوم شهر رمضان المبارك. ففي هذا الشهر العظيم ليلة عظيمة مباركة هي ليلة القدر وهي أفضل وأشرف الليالي في السنة، يقول تعالى: ﴿إن أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين﴾ [الدخان/3]، وقال تعالى: ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ [القدر/1-3]، وفضل هذه الليلة عظيم، وهذه الليلة سمى الله – عز وجل – السورة باسمها وذلك لرفع شأن الوقت الذي أنزل فيه القرآن، وتفضيل لهذه الليلة على غيرها[1]، وقد وصف الله – عز وجل – هذه

---

(2) انظر الرازي، فخر الدين، " التفسير الكبير لمفاتيح الغيب "، مجلد 3، ج5، ص 91.

(4) انظر ابن عاشور، " التحريروالتنوير "، ج2، ص 172.

(5) أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، من حديث أبي هريرة، حديث (1079).

(1) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، ج30، ص 455 – 456.

الليلة بعدة أوصاف، وصفها بالخيرية المتمثلة بالأجر العظيم فيها، ووصفها بأنهـا مباركة، وفي ذلك تنويه بها وتشويق لمعرفتها، ونكرها بقوله (ليله) للتعظيم، وهذا الفضل العظيم لها يتمثل بقوله – صلى الله عليه وسلم -: " من صـام رمـضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه" [2]، كما حث النبي – صلى الله عليـه وسـلم – علـى طلبهـا والتماسها في أواخر شهر رمضان، وخاصة في الوتر منه، فقال – صلى الله عليه وسلم -: " تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان ".[3]

وكذلك فضل الله – عز وجل – من الأيام يوم الجمعه، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ [الجمعه/9]، فجاءت أفضلية يوم الجمعة علـى سـائر الأيام، وقد سمى الله السورة باسمه، مما يدل على فضله، وقد قـال – صـلى الله عليه وسلم -: " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلـق آدم، وفيـه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها " [4]، وفي روايـة " ولا تقـوم الـساعة إلا يـوم الجمعة " [1]، ومن فضله أن فيه ساعة لا يوافقها أحد في الدعاء إلا اسـتجاب الله له، وقد قال – صلى الله عليه وسلم -: " إن في الجمعة ساعة، لا يوافقهـا أحـد مسلم قائم يصلي، يسأل الله خيراً، إلا أعطاه إياه ".[2]

وكذلك فضل الله – عز وجل – الأيام العشر الأوائل من شهر ذي الحجـة على غيرها، فقد قال – صلى الله عليه وسلم -: " ما من أيام أحب إلى الله من هذه

---

(2) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب فضل ليلة القدر، من حديث ابي هريرة، حديث، (2014).

(3) أخرجه البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر، من حـديث عائـشة، حديث (2017).

(4) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، من حديث أبي هريـرة، حـديث (584).

(1) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب فضل يوم الجمعة، من حديث أبي هريـرة، حـديث (584).

(2) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة، من حديث ابي هريرة، حديث (552).

الأيام العشر، فقالوا يا رسول الله: ولا الجهاد في سبيل الله، فقال: ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء "[3]، وكذلك فضل الله يوم عرفه شرفه الله فقد قال – صلى الله عليه وسلم: " ما من يوم من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفه، وإنه ليدنوا ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ماذا أراد هؤلاء؟ ".[4]

وكما فضل الله بعض الأوقات، فضل كذلك بعض الأماكن، كمكة المشرفة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس، يقول تعالى: ﴿إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين﴾ [آل عمران/96]، وقد أقسم الله – عز وجل – فقال: ﴿والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين﴾ [التين/1-3]، وقد أشار الله -عز وجل – للتعظيم بقوله ﴿وهذا البلد﴾، وقد يكون المقصود تفضيل هذه الأماكن الثلاثة فالتين والزيتون إشارة للمسجد الأقصى ومكان ظهور شريعة عيسى – عليه السلام -، وطور سنين مكان ظهور شريعة موسى – عليه السلام -، وهذا البلد الأمين مكان ظهور شريعة المصطفى – صلى الله عليه وسلم -.[5]

وقد أشار الله – عز وجل – لفضل بيت المقدس بقوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ [الإسراء/1]، وقد ربط النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى "[1]، وتتمثل الأفضلية في هذه المواضع الثلاثة أن الأجر فيها يعظم عن غيرها فقال – صلى الله عليه وسلم -: " صلاة في مسجدي

---

(3) أخرجه الترمذي، كتاب الصوم، باب ما جاء في العمل في الأيام العشر، من حديث ابن عباس، حديث (757)، وقال أبو عيسى: حديث حسن صحيح غريب ".

(4) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل الحج يوم عرفه، من حديث عائشة، حديث (1348).

(5) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، ج30، ص 422.

(1) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال، من حديث أبي هريرة، حديث (1397).

هذا، خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام " [2]، وأما فضل المدينة المنورة فكثير وعظيم، فقد قال –صلى الله عليه وسلم -: " إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها، وإني حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة، وإني دعوة في صاعها ومدها بمثلي ما دعا به إبراهيم لأهل مكة " [3]، والأحاديث في ذلك كثيرة لا حصر لها، وإنما يظهر لنا من خلال ذلك تفضيل الله – عز وجل – لبعض الأوقات والأماكن ما يجعل المسلم سباقاً لاغتنام الأجر والثواب العظيم فيها.

وقد فضل بعضهم بعض الأشياء على بعض، ومن الذين أجادوا في جمع ذلك أبي البقاء الكفوي في قصيدة له حيث يقول: [4]

لخير جميع الخلق أعني محمداً	كمعجزه فضلُ لأمته نُور
وفاطمة الزهراء بالأصل فُضلت	كعائشةٍ بالعلم ذاك شهير
وتأثير أم المؤمنين خديجةٍ	كعائشةٍ نصراً لديك يدور
لصالحنا عكس البداية رتبة	على ملكٍ دار الثواب وحور
أحب إلى الله المجيب مدينةُ	من أول أرضٍ بالدعاء شعور
وتربة قبر قد حوت أعظم النبي	لها الفضل من عرش هناك أمور
وأفضل من غازٍ شهيدٍ مقاتلٍ	جليس إله في الشهود أجور
مصالح ناس لو تعدت فأفضل	ولا عجب للقاصرين قصور
لزمزم فضل من مياه سوى الذي	أصابع خير الناس منه تفور
صبور على فقرٍ شكور على غنى	لأتقاهم فضل الكريم صبور
وتفضيل أرض الله حق على السما	كما قيل عند الأكثرين فجور
سماء ففيها العرش سيد غيرها	كذا الأرض ما بعد الحياة قبور
وفي أُحدٍ جر الجوار لفضله	وليس كذا نور الجبال وطور

(2) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة في مسجدي، من حديث ابي هريرة، حديث (1394).

(3) أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة، من حديث عبد الله بن زيد، حديث (1360).

(4) الكفوي، أبي البقاء أيوب الحسيني، (ت 1094 هـ)، " الكليات "، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992، ص 684 – 685.

ولا فـضل بـين المـشرقين حقيقـة	توقفنـا خيـر وإثـم لنـا زور
ليـالي قلـت مـن بهيـة شـأنها	وأكثـر أيـام بتلـك فخـور
وأفـضل أيـام الأسـابيع جمعـة	وأشرف أيـام الـسنين نُحـور
وليلة الإسـرا فـي النبـي مفـضل	على القدر فينا ما علته شـهور
وبالقـدر للعـشر الليـالي فـضيلة	على مثلها للحـج وهـو يـدور
وفضلت الأيـام مـن عـشر حجـةٍ	على مثلها للصوم أنت شـكور

11.1 تفضيل بني إسرائيل في الماضي.

وردت عدة آيات في القرآن الكريم تتحدث عن تفضيل بني إسرائيل. فمـا هو المقصود بهذا التفضيل؟ وهل هو تفضيل مطلق؟

يقول الله عز وجل: ﴿ يا بني إسرائيلَ اذْكُروا نِعمتِي التِي أَنْعمـتُ علَـيكُم وأَني فَضلْتُكُم علَى الْعالَمِين﴾ [البقرة/47].

في هذه الآية الكريمة ناداهم الله عز وجل باسم أبيهم الذي هو أصل عزهم. ومنشأ تفضيلهم، وأسند الله هذه النعمة لهم جميعاً لا إلى إسرائيل عليه الـسلام لأن النعمة عمتهم والتفضيل شملهم، والتفضيل هنا الأخذ بالفضائل وتـرك الرذائـل، والحكمة من التذكير بالتفضيل هنا، أن يتذكر بنو إسرائيل أن الذي فضلهم لـه أن يفضل غيرهم كسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم وأمته – والأولى أن من فضله الله عز وجل يكون الأسرع لاستجابة أمره ونبيه وكتابه الذي ورد فيه تفضيلهم لا الإعراض عنه.

وأما مظهر التفضيل لهم فهو إما بكثرة الأنبياء لأنه لا يعرف شـعب مـن الشعوب يزاحمهم في هذا الأمر، ولكن كثرة الأنبياء تدل على عدم استجابة لأوامر الله، وإعراضاً عن رسله " وهذا عيب في حقهم "، كما أن هذا الفضل لا يعني أن يكون كل شخص منهم أفضل من كل الناس من غيرهم، إنما هو تفضيل بالإجمال، كما لا يتنافى هذا الفضل مع تفضيل غيرهم عليهم إذا هم انحرفـوا عـن هـدى

الأنبياء وتركوا سنتهم – وقد حصل -. وينصرف التفضيل للأنبياء الذين بعثوا من أهل زمانهم.[(1)]

وقد سبق مخاطبتهم في الآيات السابقة على هذه الآية بقولـه: " يـا بنـي إسرائيل " للتأكيد والإيذان بكمال غفلتهم عن القيام بحقوق النعمة، وخص التفضيل دون سائر النعم لأنه أجل هذه النعم. ولا يلزم من تفضيلهم أنهم أفضل من سـيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم وأمته – لأنه سبحانه قال عن أمـة سـيدنا محمـد ﴿ كنتم خير أمةٍ أخرجت للناس﴾ [آل عمران/110]. والخطاب في الآية الكريمة، إما لأصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم -، وإما للمسلمين جميعـاً فـي كـل عصر، وجعل خيرية هذه الأمة بالإيمان بالله ، والأمر بالمعروف والنهـي عـن المنكر[(2)]. وقد جاءت الأحاديث التي تدل على خيرية هذه الأمة وفضلها، ومنهـا قوله – صلى الله عليه وسلم - : " نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا الله له، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنـصارى بعـد غـد " [(3)]، والمقصود بهذا اليوم هو يوم الجمعة.

ومن اللطائف في ذلك أن الله عز وجل أشهد بني إسرائيل فـضل أنفـسهم بقوله: " وأني فضلتكم " وأشهد المسلمين بفضل نفـسه فقـال: " قـل بفـضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا " فالأول يصير للفناء والثاني يدل على الإعجاب.[(1)]

ثم كرر الله عز وجل التذكير بهذه النعمة وهي التفضيل في سورة البقـرة فقال: ﴿ يا بني إِسرائِيلَ اذْكُروا نِعمتِي الَّتِي أَنْعمتُ علَيكُم وأَنـي فَـضلْتُكُم علَـى الْعالَمِين﴾ [البقرة/122].

---

(1) انظر رضا محمد رشيد، " تفسير المنار "، دار المعرفة بيروت، ط2، (د، ت)، جـ1، ص 304 – 305.

(2) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، ج3، ص 50 – 51.

(3) أخرجه مسلم، كتاب الجمعه، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعـة، مـن حـديث أبـي هريرة، حديث (855).

(1) انظر الألوسي، " روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثـاني "، جـ1، ص 250.

وهذا التذكير هو تقريع لأحفاد بني اليهود في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – أنهم لم يؤمنوا برسول الله مع أنه مذكور عندهم بالتوراة وكان يجب أن يأخذوا هذا الذكر بقوة وسرعة لأنه تفضيل من الله لهم.[2]

والملاحظ في هذين الموضعين أن الله عز وجل ذكر في الموضع الأول وبعد التذكير بالنعمة لهم قال: ﴿واتقُواْ يوماً لا تَجزي نَفْس عن نفْسٍ شَيئاً ولاَ يقْبلُ مِنْها شَفَاعةٌ ولاَ يؤْخَذُ مِنْها عدلٌ ولاَ هم ينصرون﴾ [البقرة/48].

وقال بعد الموضع الثاني: ﴿واتقُواْ يوماً لا تَجزي نَفْس عن نفْسٍ شَيئاً ولاَ يقْبلُ مِنْها عدلٌ ولاَ تَنفَعها شَفَاعةٌ ولاَ هم ينصرون﴾ [البقرة/123].

ومن الملاحظ في الآية الأولى قدم الشفاعة وآخر العدل، والموضع الثاني قدم العدل وآخر الشفاعة، وهو من باب التفنن بالكلام، فقدم الشفاعة في الآية الأولى بسبب نفي قبولها، وذكر بعدها العدل وهو (الفداء) لأن نفي الشفاعة لا ينفي قبول العدل، لذلك قال: " ولا يؤخذ منها عدل " للاحتراس.

وفي هذا الموضع قدم نفي العدل ثم عطف بنفي الشفاعة للاحتراس أيضاً. لأن أحوال الأقوام في طلب الفكاك عن الجناة يختلفون، فمرة يعرضون الفداء فإذا لم يقبلوا يطلبوا الشفاعة، ومرة يعرضون الشفاعة، فإذا لم يقبلوا يعرضوا الفداء [1]، كما أن الخطاب كان بحسب نفوسهم، وطبيعتهم فمنهم من يقدم المال، ومنهم من يقدم الجاه أكثر من المال وأكثر من العدل.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ولَقَد آتَينَا بنِي إِسرائِيلَ الْكِتَاب والْحكْم والنبوةَ ورزقْنَاهم من الطيباتِ وفَضلْنَاهم علَى الْعالَمِين﴾ [الجاثية/16].

وقد جاءت هذه الآية تسلية للنبي – صلى الله عليه وسلم – بعد معاناة مع مشركي مكة، فأخبره الله عز وجل أنه ليس بدعاً من الرسل، فبنوا إسرائيل أتاهم الله الكتاب يعني التوراة والحكم وهو مقاييس العدل التي تستقيم بها الحياة. وجعل فيهم كثرة الأنبياء التي افتخروا بها، وهي عيب في حقهم، لأن كثرة الأنبياء الذين يبعثوا إلى القوم يدل على الفساد وعدم قبول الحق. ورزقهم الله المن والسلوى مع

---

(2) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، أخبار اليوم، جـ 1، ص 566.

(1) انظر ابن عاشور، " التحرير والتنوير "، جـ 1، ص 698.

ذلك كله واجهوا نعم الله بالكفر فظلموا وكذبوا الأنبياء وقتلوا بعضهم وطلبوا من الله الطعام وعاندوا موسى - عليه السلام – مع أن الله عز وجل فضلهم على عالمي زمانهم لأنهم عاشوا في زمان كثر فيه الكفر وأصحاب الوثنية والديانات الأخرى وهم أهل كتاب فهذا التفضيل على عالمي زمانهم. [2]

فالملاحظ من آيات التفضيل لبني إسرائيل أن هذا التفضيل كان على عالمي زمانهم بما أكرمهم الله عز وجل من تظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، وهو جاء في مواطن التقريع عليهم، والتنديد بهم وبأعمالهم وكفرهم بسيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – والذي جاء به، علماً أن كتبهم السماوية بشرت به وأخبرت عنه، والقرآن الكريم ذكرهم وذكر تاريخهم، فكان الأجدر بهم اتباع هذا الدين وهذا النبي – صلى الله عليه وسلم -.

الفصل الثاني
الاصطفاء في القرآن الكريم

1.2الاصطفاء لغة واصطلاحاً :

الاصطفاء لغة يقع تحت المادة اللغوية (ص فَ و).

يقول الراغب الأصفهاني :" أصل الصفاء : خلوص الشيء من الشوب ومنه : الصفا للحجارة الصافية، والاصطفاء : تناول صفو الشيء . واصطفاء الله بعض عبادة قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافيا عن الشوب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وان لم يعتر ذلك من الأول، وقال تعالى : ﴿الله يَصطَفِي مِن الْمَلَائِكَةِ رسلاً ومِن الناسِ إن الله سمِيع بصِير ﴾ [الحج75]

---

(2) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي "، جـ22، ص 14098 – 14100.

واصطفيت كذا على كذا، أي: اخترت. والصفي والصفية: ما يـصطفيه الـرئيس لنفسه ، وقد يقالان للناقة الكثيرة اللبن، والنخلة الكثيرة الحمـل، ويقـال: أصـفت الدجاجة: إذا انقطع بيضها كأنها صفت منه.(1)

والاصطفاء عند ابن فارس : " صفو (الصاد، والفاء، والحرف المعتـل) أصـل واحد يدل على خلوص من كل شوْب. ومن ذلك الصفاء، وهو ضد الكدر، يقـال صفا يصفو، إذا خلصت". (2)

ويقول ابن منظور في اللسان : "صفا : الصفو والصفاء : نقيض الكـدر ,وصـفا الشيء، والشراب يصفو صفاء وصفوا ، وصفوة كل شيء، خالصه مـن صـفوة المال وصفوة الإخاء ، ويقال : صفا الجو: لم تكن فيه لطخه غـيم، واستـصفيت الشيء إذا استخلصته، واستصفى الشيء واصطفاه :اختاره ،والاصطفاء الاختيـار على وزن افتعال، ومنه النبي –صلى الله عليه وسلم- وصـفوة الله مـن خلقـه ومصطفاه والأنبياء المصطفون ، وهم من المـصطفين إذا اختيـروا، والـصفي: الخالص من كل شيء". (3)

ويقول صاحب المعجم الفريد :"اصطفى : افتعل وأصل الطاء تـاء أبـدلت التـاء لتشابهما مع الصاد في الإطباق. واسم الفاعـل : مـصطفٍ، واسـم المفعـول : مصطفى، واللفظ مشتق من الصفوة ، واستصفاه: أخذ منه صفوه واختياره". (4)

بعد النظر في المعنى اللغوي للاصطفاء نخلص إلى أن المعنى اللغوي يدور حول احد المعاني الثلاثة :

1- خلوص الشيء من الشوْب .
2- تناول صفو الشيء.

---

(1) انظر الاصفهاني، الراغب:ت(425هـ) "مفردات الفاظ القرآن"، تحقيق صفوان عدنان داوودي، "دار القلم للنشر،ط1، 1992م، ص(487ـ 488).

(2) ابن فارس، (ت 395هـ)، " معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد الـسلام هـارون، دار الجيل للنشر، ط1، 1991، ج3، ص292.

(3) انظر ابن منظور، جمال الدين ابي الفضل محمد بن مكرم، لسان العرب، مادة "صفا" دار الكتب العلمية، 2003م، ط1،ج4، ص(568ـ 570).

(4) الجزار، كامل محمد سالم، "المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد"، دار التوزيع الإسلامية،2006م، ط1،ج1،ص581.

3- الكثير العطاء والكثير الخير، كما يقال" للناقة والنخلة "، كما ذكر الراغب سابقاً .

والمعنى الجامع بين هذه المعاني يدور حول" صفو الشيء".

أما المعنى الاصطلاحي فلم يخرج عن هذه المعاني، فقد عرفه أبو البقاء الكفوي في الكليات بأنه :" تناول صفوة الشيء ، فاصطفاء آدم النبي على العالم بأن رجحه على جميع الملائكة ، واصطفاء نوح – عليه السلام- على العالم بأن اهلك قومـه وحفظ نوحاً وأتباعه ، واصطفاء آل إبراهيم- عليه السلام - على العالم بأن جعل دينهم شائعا وذال مخالفهم، واصطفاء موسى وهارون - عليهما الـسلام – علـى العالم بأن جعل فرعون مع عظمته وغلبة جنده مغلوبا، واصطفاء محمد – صـلى الله عليه وسلم- على جميع المكونات بأن جعله حبيبا .[1] مـع العلـم أن الخلـه مرتبة أعلى من المحبه، والله عز وجل قد جمع النبي – صلى الله عليه وسـلم – الخله والمحبه في آنٍ واحد. وأما الجرجاني فذهب إلى أن الصفوة :" هم المتصفون بالصفاء عن كدر الغيرية".[2]

لم تخرج تعاريف المفسرين عما ذكره أبو البقاء حول معنى الاصـطفاء ،ولكـن يؤخذ على تعريف أبي البقاء حصره على الأنبياء والمرسلين خاصة أن الله عـز وجل ذكر اصطفاء الملائكة، واصطفاء مـريم واصـطفاء طـالوت، واصـطفاء المؤمنين فهذا التعريف لا يعد دقيقا على هذا المعنى ، وبعد البحث الطويل وجدت أن كتب التفسير أيضا لم تخرج عن ذلك . فأردت أن أضع تعريفـا يجمـع هـذه الجزيئات بين ثناياه فأقول:" الاصطفاء: هو الاختيار الرباني للصفوة من الخلق ".

2.2 اصطفاء الرسل والأنبياء

لما شاءت حكمة الله عز وجل في إرسال الرسل، لهداية الخلق إلى الصراط المستقيم وفق صفات جليلة في هؤلاء الرسل والأنبياء، واصطفاء لهم على غيرهم،

---

(1) الكفوي، أبي البقاء بن موسى،ت(1683/1094م)، "الكليات في المصطلحات والفروق اللغوية"، مؤسسة الرسالة،ط2، 1992، ص130.

(2) الجرجـاني، علـي بـن محمـد الـسيد، ت(816هــ)،"التعريفـات"، دار الرشاد،(د.ت)،ص(152).

فقال الله سبحانه وتعالى ﴿ثُم أَورثْنَا الْكِتَاب الَذِين اصطَفَينَا مِن عِبادِنَا فَمِنْهم ظَـالِم لنَفْسِهِ ومِنْهم مقْتَصِد ومِنْهم سابِقٌ بِالْخَيراتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِك هـو الْفَـضلُ الْكَبِيـر﴾ [فاطر /32]، فقد يتبادر للذهن أن بعض المصطفين ظالم لنفسه، وبعضهم سـابق بالخيرات، والواجب أن يكون جميعهم من السابقين بالخيرات، لعل ممن أجابوا عن ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي حيث قال: (أن المراد أنه تعالى أورث الكتـاب الأنبياء بعثهم من جملة عباده والأقسام المذكورة لم ترجع إليهم بـل ترجـع إلـى عبادنا: منهم ظالم لنفسه وهم الذين يعصون ربهم بكفر أو فسق، ومـنهم مقتـصد وهو المؤمن التائب الذي لم ترتفع منزلته في باب الثواب، ومنهم سابق بالخيرات وهم الذين علت منزلتهم فهذا معنى الكلام).(1)

ومن جملة هؤلاء الأنبياء المصطفين نتحدث عن عدد منهم ذكرهم الله عز وجـل في لفظ الاصطفاء، فالمقصود ليس الحديث عن جميع الأنبياء إنما عن الذين ذكروا بإزاء الاصطفاء ومنهم:

1. آدم ونوح ـ عليهما السلام في سورة آل عمران(33).
2. إبراهيم ـ عليه السلام ـ أبو الأنبياء في سورة البقرة(130).
3. موسى ـ عليه السلام ـ كليم الله في سورة الأعراف (144).
4. إسحاق ويعقوب ـ عليهم السلام في سورة ص (47).
5. سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مواضع متعددة.

1.2.2 اصطفاء آدم ونوح –عليهما السلام-.

ذكر الله عز وجل اصطفاء آدم ونوحاً في (سورة آل عمران) حيـث قـال الحق سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران/33]، فما هو معنى هذا الاصطفاء وما دلالته الموضوعية في هذا الـنص

---

(1) المعتزلي، القاضي عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار، ت(415هـ)،" تنزيه القـرآن عن المطاعن" دراسة وتعليق د. خضر محمد بنها، دار الكتب العلمية، بيـروت،ط1، 2008م، ص346.

القرآني الكريم، والسؤال المطروح في هذا الموضع لماذا قرن الله عز وجل ذكـر آدم ونوح مع آل إبراهيم وآل عمران ؟

للجواب عن هذا السؤال: ننظر في الوحدة الموضـوعية وسـياق الآيـات القرآنية (فالسياق والسباق واللحاق) خير معين على فهم المقصود مـن كـلام الله سبحانه وتعالى. فالسياق هو بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً . . . . ﴾ [آل عمران /33] والسباق فهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُم تُحِبون اللّه فَاتبِعوني يحبِبكُم اللّه ويغْفِر لَكُم ذُنُوبكُم واللّه غَفُور رحِيم * قُلْ أَطِيعواْ اللّه والرسولَ فإِن تَولواْ فَإِن اللّه لاَ يحِب الْكَافِرِين ﴾ [آل عمران /31 – 32] وإما اللحاق فهي قوله تعالى ﴿ ذُريةً بعضها مِن بعضٍ واللّه سمِيع علِيم * إِذْ قَالَتِ امرأَةُ عِمران رب إِني نَذَرتُ لَك ما فِي بطْنِي محرراً فَتَقَبلْ مِني إِنك أَنتَ السمِيع الْعلِيم﴾ [آل عمران / 34-35].

وفي الربط بين السابق واللاحق يقول الإمام الشوكاني[1] :" لما فرغ سبحانه من بيان أن الدين المرضي هو الإسلام، وأن محمداً -صلى الله عليه وسلم- هـو الرسول الذي لا يصح لأحد أن يحب الله إلا بإتباعه، وأن اختلاف أهل الكتـابين[2] فيه إنما هو لمجرد البغي عليه والحسد له، شرع في تقرير رسالة النبي –صلى الله عليه وسلم- وبين أنه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ، وتخصيص آدم بالذكر لأنه أبو البشر، وكذلك نوح فإنه آدم الثاني[3]، وأما آل إبراهيم، فلكـون النبـي –صلى الله عليه وسلم- منهم مع كثرة الأنبياء فيهم، وأما آل عمران، فهم وإن كانوا من آل إبراهيم، فلما كان عيسى –عليه السلام- منهم كان لتخصيـصهم بالـذكر وجه". [4]

---

(1) هو محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني، نسبة إلى"عدن شوكان" قرية قرب صنعاء، ولد (1173)هـ، توفي(1250)هـ.

(2) المقصود: اليهود والنصارى، والمقصود بالكتابين" التوراة والانجيل".

(3) المقصود ان البشر من ذريته بعد الطوفان.

(4) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد،" فتح القدير، الجامع بين فني الرواية، والدرايـة في علم التفسير" دار ابن كثير بيروت، دار الكلـم الطيـب للنـشر، بيـروت، ط1، 1994م، ج1،ص383.

ويقول العلامة الآلوسي[1]حول هذه الآيات"......وبدأ بآدم – عليه الصلاة والسلام- لأنه أول النوع، وثنى بنوح –عليه الصلاة والسلام- لأنه آدم الأصغر والأب الثاني وليس احد على وجه البسيطة إلا من نسله لقوله تعالى ﴿وجعلْنَا ذُريتَه هم الْباقِين﴾ [الصافات / 77] وذكر آل إبراهيم لترغيب المعترفين باصطفائهم في الإيمان بنبوة واسطة قلاتهم واستمالتهم (أي اليهود والنصارى) نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم، وذكر آل عمران مع اندراجهم في الآلة الأول لإظهار مزيد الاعتناء بأمر عيسى –عليه السلام- لكمال رسوخ الاختلاف في شانه، وهذا هو الداعي إلى إضافة الآل في الأخيرين دون الأولين".[2]

وأما عن ذكر آل عمران فيقول العلامة الآلوسي ﴿إِذْ قَالَتِ امرأَةُ عِمران ...﴾ [آل عمران / 35] والظاهر انه شرح لكيفية الاصطفاء المشار إليه بقوله تعالى ﴿ وآل عمران ...﴾ فيكون من قبيل تكرار الاسم في جملتين فيسبق الذهن إلى أن الثاني هو الأول نحو أكرم زيداً إن زيداً رجل فاضل، وإذا كان المراد بالثاني غير الأول كان في ذلك إلباس على السامع".[3]

وقد يكون الاقتصار على هؤلاء المذكورين في الآية إشارات، ودلالات تدل على أن هذا الاصطفاء كان لأمور تحققت فيهم، وأوصاف لازمتهم، وقد ذكر السمرقندي[4] حول هذا المعنى" ويقال : قد أختاره (آدم) بخمسة أشياء:

أولها: أنه خلقه بأحسن صورة بقدرته.

الثاني: أنه علمه الأسماء كلها.

الثالث: أنه أمر الملائكة أن يسجدوا له.

الرابع: أسكنه الجنة.

---

(1) هو الإمام العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، المتوفي سنة 127هـ.

(2) الآلوسي، شهاب الدين،" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار احياء التراث العربي، (د، ط، ت)،ج3، ص 131.

(3) الآلوسي، شهاب الدين،" روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار احياء التراث العربي، (د، ط، ت)،ج2، ص127.

(4) أبو الليث نصر بن محمد بن احمد بن أبراهيم السمرقندي(المتوفي: 375هـ).

الخامس: جعله أبا للبشر .
وأختار نوحاً – عليه السلام- لخمسة أشياء :
أولها : انه جعله أباً للبشر، لأن الناس كلهم غرقوا، فصارت ذريته هم الباقين .
الثاني : أنه أطال عمره ويقال : طوبى لمن طال عمره ، وحسن عمله.
الثالث : أنه استجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين.
الرابع : أنه حمله على السفينة.
الخامس : انه أول من نسخ الشرائع، وكان قبل ذلك لم يحـرم تـزوج الخـالات والأخوات والعمات.
وأختار (إبراهيم) – عليه السلام - بخمسة أشياء :
أولها : أنه جعله أبا الأنبياء، لأنه روي أنه خرج من صلبه ألف نبي مـن زمانـه إلى زمان النبي – صلى الله عليه وسلم- .
والثاني : أنه اتخذه خليلاً.
والثالث : أنه أنجاه من النار.
والرابع : أنه جعله للناس إماماً
والخامس : أنه ابتلاه الله بخمس كلمات فوفقه حتى أتمهن.
والإشارة (بآل عمران) يعني مريم بولادة عيسى – عليه السلام- بغير أب ولـم يكن ذلك لأحد في العالم".[1]

ورب سائل يسأل: ما هي العظات والعبر والأحكام المستفادة من ذكر هؤلاء ؟ ممن تكلموا في موضوعات السورة وأفاد الشيخ محمد أبو زهرة حيث قال :

1. أن فيها (سورة آل عمران) تنويه بذكر القرآن وأقسامه وإشارة لمحكمه، والمتشابه منه.
2. فيها ذكر قصة آل عمران وولادة مريم البتول، ويحيـى النبـي، وعيـسى الرسول، وما اكتنف ولادتهم من آيات تدل على كمال إرادة الله عز وجل، كما فيها إشارات إلى معجزات عيسى – عليه السلام- .

(1) السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، " بحر العلوم"، تحقيق الـشيخ علـي محمـد معوض، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993، ج1، ص262.

فيها بيان أن الإسلام انه دين كل الأنبياء السابقين، لأنه دين الله السرمدي سبق بالدعوة إلى حقيقته النبيين، وختم الله الدعوة بخاتم النبيين محمد الأمين – صلى الله عليه وسلم-. [1]

كما مما يشير لفضل آدم ونوح -عليهما السلام- أن الله عز وجل قص علينا قصصهما في مواضع عديدة في القرآن الكريم، فآدم ذكرت قصته في سورة البقرة وفي سورة الأعراف، وفي سورة الإسراء، وفي سورة الكهف، وفي سورة طه ، باسمه وصفته وفي سورة الحجر، وفي سورة ص بصفته فقط، بأسلوب القرآن الكريم المعجز، وكلها بعبارات مختلفة اللفظ متفقة بالمعنى. [2]

ومما يدل أيضاً على هذا الاصطفاء لآدم – عليه السلام- ذكره في خمس وعشرين مرة في خمس وعشرين آية.

وأما نبي الله نوح – عليه السلام- فقد سمى الله عز وجل سورة باسمه في القرآن الكريم تحدثت فيها عن دعوة نوح لقومه وإسراره عليهم محققاً اصطفاء الله عز وجل له بكافة الأساليب في الدعوة إلى الله، وذكرهم بآلاء الله عليهم ليلاً ونهاراً، ومما يدل على فضله ومكانته انه ذكر في ثلاثة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم.

وأما ارتباط آل عمران في هذه الشجرة المباركة أيضاً، لاهتمام رباني واصطفاء له (عيسى عليه السلام) فذكر الشجرة الطيبة جمعاء، وأراد الفرع الكريم المثمر عيسى –عليه السلام-، فقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ثلاث عشرة سورة في خمسة وثلاثين موضعاً منه .

ويقول في هذا المعنى صاحب كتاب" البرهان على إعجاز القران ". "إن الله عز وجل أختار للنبوة صفوة خلقه لتلقي هباته وعطاياه، وأن من عبادة الذين اصطفاهم لأفضاله ومنحه....آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران، فآدم أبو البشر قد اصطفاه الله فجعله خليفته في الأرض، ونوح هو الأب الثاني للبشرية بعد أن

---

(1) انظر ابو زهرة، محمد (ت 1974م)، "زهرة التفاسير"، دار الفكر العربي للنشر، (د، ت، ط) ج2، ص1096.

(2) انظر النجار، عبد الوهاب، " قصص الانبياء، دار الحديث للنشر، القاهرة، (د، ط) 2004م، ص17.

هلك البشر في الطوفان، وإبراهيم هو أبو الأنبياء وآله هم هؤلاء الأنبياء من ذريته إسماعيل وإسحاق والأنبياء من أولادهما، ومن جملتهم خاتم الأنبيـاء والمرسـلين محمد – صلى الله عليه وسلم-، وعمران هو فرع زكي من شجرة إبراهيم – عليه السلام –، ومن ذريته موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى – عليهم السلام - وفي قوله تعالى (وآل إبراهيم وآل عمران) إشـارة إلـى امتـداد الاصـطفاء والاختيار من الأصول إلى الفروع، ولهذا قال تبارك وتعالى ﴿إن اللّه اصطَفَى آدم ونُوحاً ...﴾ ولم يقل آل ادم ولا آل نوح لان ذلك يشمل الإنسانية كلها من حيـث كان آدم ونوح أبوي البشرية كلها فلا يكون – والأمر كذلك- مكان للاصطفاء من بين الذرية المصطفاة كلها"[1] . والمقصود أنه لو قـال آل ادم وال نـوح لـشمل الاصطفاء الناس جميعاً لأنهم من ذريتهما.

والسؤال المطروح الآن: هل اصطفاء هؤلاء كان على العـالمين أم علـى أهل زمانهم ؟

إن من أجاب عن ذلك هو الإمام الفخر الرازي حيث قال:" فـإن قيـل: إن حملنا هذه الآية على تفضيل المذكورين فيها على كل العـالمين أدى ذلـك إلـى التناقض، لأن الجمع الكثير إذا وصفوا بأن كل واحد منهم أفضل من كل العالمين يلزم كون كل واحد منهم أفضل من كل العالمين، ويلزم كون واحد منهم أفضل من الآخر وذلك محال، ولو حملناه على كونه أفضل عالمي زمانه أو عالمي جنسه لم يلزم التناقض فوجب حمله على هذا المعنى دفعاً للتناقض".[2]

وإن المدقق في كلام الفخر الرازي يجده يبين لنا كونهم على عالمي زمانهم أم على العالم بشكل عام، لأن الله عز وجل قـال: ﴿علـى العـالمين﴾ وعـرف "العالمين" بال التعريف التي تفيد الاستغراق مما يدل أنه -والله أعلم- كانوا مـن المصطفين على العالمين مع غيرهم على اختلاف الأزمنة والأمكنة.

---

(1) الشناوي، عبدالعزيز،"البرهان على إعجاز القرآن"، مكتبة الأيمان للنـشر والتوزيـع ط1، 1999م، ص75ـ76.

(2) الرازي، فخر الدين، ابو عبدالله محمد بن عمر،(ت604هـ) " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب" دار الفكر للنشر، ط1،1981م، ج 8، ص 21.

وذكرهم في الآية لا يفيد حصرهم، فالرسل والأنبياء جميعاً مصطفين لا نفرق بين أحد من رسله، وهو من مستلزمات العقيدة الصحيحة، والدليل على ذلك أن آدم عاش في زمن بعيد عن زمن نوح، وكذلك إبراهيم وآل عمران وإن كانوا من نفس الشجرة، فقد أعقب الحق سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران/34] والفاصلة القرآنية فيها دلالات لماهية هذا الاصطفاء القائم على تراكم دعوات، وعبادات، واجتهاد من هؤلاء المصطفين الأخيار لذلك قال الحق سبحانه ﴿ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ سميع لدعواتهم عليم بأفعالهم وملكاتهم، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ امرَأَةُ عِمران رب ِإني نَذَرتُ لَك ما فِي بطْنِي محرراً فَتَقَبلْ مِني ِإنك َأنتَ السمِيع الْعِلِيم﴾ [آل عمران / 35] سبحان الله ما هذا الانسجام بين الفواصل القرآنية أنه الدليل على سبب هذا الاصطفاء أذن " أقوال وأعمال " ترضي الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيهِ يصعد الْكَلِم الطيب والْعملُ الصالِح يرفَعه﴾ [فاطر / 10] ومن الأدلة الدالة على أن الاصطفاء لهم لم يكن على مستوى زمانهم الحديث الذي جمع فيه النبي- صلى الله عليه وسلم: – بين نساء مصطفيات من أزمنة مختلفة فقال الرسول –: صلى الله عليه وسلم:- " كمل من الرجال الكثير ولم تكمل من النساء إلا آسيا امرأة فرعون ومريم بنت عمران وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام" (1) فحمل الآية الكريمة على عالمي زمانهم هذا تخصيص لا دليل عليه، كما أن قصرهم على عالمي زمانهم يفتح الدعوى لوجود مصطفين في أزمنة أخرى قد يتقدموا عليهم وهذا محال إلا من ارتضاه الله من رسول أو نبي، وكلهم سواء إلا بما فضل الله بعضهم على بعض بنص ثابت .

2.2.2 اصطفاء إبراهيم – عليه السلام-.

ورد اصطفاء إبراهيم في القرآن الكريم لقوله تعالى: ﴿ومن يرغَب عن ملةِ ِإبراهِيم ِإلا من سفِه نَفْسه ولَقَدِ اصطَفَينَاه فِي الدنْيا وِإنه فِي الآخِرةِ لَمِن الصالِحِين﴾

(1) البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح، "كتاب حديث الانبياء" ، باب" قوله تعالى" وضرب الله مثلاً..." حديث(3411) من حديث ابي موسى الأشعري رضي الله عنه" وأطرافه (3433،3769).

[البقرة / 130] كما ورد ذكره في خمس وعشرين سورة من القرآن الكريم ثلاث وستون مرة.

ونكتفي بالوقوف مع النص الذي ذكر فيه لفظ الاصـطفاء، وقـال تعـالى ﴿ومن يرغَب عن ملةِ إبراهِيم إلا من سفِه نَفْسه ولَقَدِ اصطَفَينَاه فِي الدنْيا وإنه فِـي الآخِرةِ لَمِن الصالِحِين﴾ [البقرة / 130] فما هو المقصود بهذا الاصطفاء في ضوء هذه الآية والآيات التي تحدثت عن إبراهيم – عليه السلام-.

لقد تحلى أبو الأنبياء إبراهيم – عليه السلام- بصفات جليلة ذكرها القـرآن الكريم في مواطن عديدة، فوصفه تارة بأنه أمة مطيع لأوامـر الله عـز وجـل، ووصفه تارة بأنه خليلاً،وصفة أخرى بأنه صديقاً نبياً، إن الناظر في هذه الآيـات يجد أن موقع هذه الآيات من سوابقها موقع النتيجة بعد الدليل، فإن الله عز وجـل لما ذكر فضائل إبراهيم من قوله تعالى: ﴿وإِذِ ابتَلَى إِبراهِيم ربه بِكَلِماتٍ فَـأَتَمهن قَالَ إِني جاعِلُك لِلناسِ إِماماً قَالَ ومِن ذُريتِي قَالَ لاَ ينَالُ عهدِي الظالِمِين﴾ [البقرة / 124] ذكر هنا أن صاحب هذه الفضائل لا يعدل عن دينه، والاقتداء به إلا سفيه العقل أفن الرأي".[1]

وسبب هذا الاصطفاء فيبدو واضحاً جلياً في الآية التي تليها، وهـي قولـه تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة/ 131] يقول الفخر الـرازي حول هذا المعنى :" فكأنه لما أسلم نفسه لعباده الله تعالى وخضع لها وإنقاد علم الله من حاله أنه لا يتغير على الأوقات، وأنه مستمر على هذه الطريقة، وهو مع هـذا مطهر من كل الذنوب فعند ذلك أختاره للرسالة، وأختصه بها لأنه تعالى لا يختار للرسالة إلا من هذا حاله في البدء والعاقبة فإسلامه وحسن إجابته منطوق به "[2] .

وأما قوله تعالى : ﴿وإِنه فِي الآخِرةِ لَمِن الـصالِحِين﴾ أي المـشهود لهـم بالثبات على الاستقامة، والخير، والصلاح، والجملة معطوف عليها داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقررة لما تقرره، ولا حاجة لجعله اعتراضاً آخر، فإن من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهوداً له بالصلاح في الآخرة كان حقيقاً بالإتبـاع لا

(1) انظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج1، ص 724.

(2) انظر الفخرالرازي،" مفاتيح الغيب والتفسير الكبير" جـ4، ص78.

يرغب عن ملته إلا سفيه أو متسفه أذل نفسه بالجهل، والإعـراض عـن النظـر والتأمل ".[1]

والربط بين اصطفاه في الدنيا والصلاح في الآخرة، ويقـول حـول هـذا المعنى الإمام الآلوسي تعقيباً على قوله تعالى ﴿وإنه فِي الآخِرةِ لَمِن الـصالِحِين﴾ " والجملة معطوفة على ما قبلها، وذلك من حيث المعنى دليل مبين لكون الراغب عن ملة إبراهيم سفيهاً إذ الاصطفاء والعز في الدنيا غايـة المطالـب الدنيويـة، والصلاح جامع للكمالات الأخروية، ولا مقصد للإنسان (الغير السفيه) سوى خير الدارين...".[2]

ومما يؤيد اصطفاء إبراهيم عليه السلام ـ مواضع عديـدة تحـدثت عـن حيثيات هذا الاصطفاء فقال الله عز وجل ﴿واتخَذَ اللّه إبراهِيم خَلِيلاً﴾ [النـساء / 125] وقوله تعالى ﴿خَلِيلاً﴾ كلمة" خليل" مأخوذه من (الخاء واللام) (والخل): هو الطريق في الرمل، وحين يسير فيه اثنان فهما يتكاتفان إن كان الود بينهما عاليـاً، وإذا لم يكن بينهما ود، فأحدهما يمشي في الأمام، والآخر يمشي في الخاف، ولذلك سموا الاثنين اللذين يسيران متكاتفين" خليل" فكلاهما متخلل في الآخر، والخليل هو الاتحاد في الخلال والصفات، والأخلاق، وبشأن خله إبراهيم عليه السلام معناهـا خليل أن الله سبحانه وتعالى اصطفاه اصطفاءً خاصاً، فالحب قد يشارك فيه فهو قد يحب واحداً وآخر وثالث ورابع، والحق سبحانه وتعالى حب كل المؤمنين فقد قال في مواضع عديدة ﴿فَإن اللّه يحِب الْمتقِين﴾ [آل عمران / 76] وكذلك ﴿واللّه يحِب الصابِرِين﴾ [آل عمران / 146] وكذلك ﴿واللّه يحِب الْمحـسِنِين﴾ [آل عمـران / 134] ولكن الحق اصطفى إبراهيم خليلاً، أي لا مشاركة لأحد في مكانته، فالحب

---

(1) أبوالسعود، محمد بن محمد بن مصطفى(ت951هـ) " إرشاد العقل السليم إلى مزايـا الكتاب الكريم"، دار إحياء الدار العربي، بيروت،(د، ط، ت) جـ1،ص162.

ـ وعند التحقيق يبدو لي أن ابو السعود أخذ هذا المعنى من البيضاوي، ناصر الدين، في تفسيره" أنور التنزيل واسرار التأويل" راجع حاشية القونوي على تفسيرالبيضاوي دار الكتب العلمية ط1،2001،جـ4،ص248.

(2) الآلوسي، شهاب الدين محمود(ت1270هـ)، ط روح المعاني فـي تفـسير القـرآن العظيم والسبع المثاني"، دار أحياء التراث العربي(د،ط،ت)،جـ1،ص388 .

يعم، ولكن الخلة لا مشاركة فيها ولذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يخـرج على قومه قائلاً: (ألا إن ربي اتخذني خليلاً).[1] [2]

كما ذكر الله عز وجل مواقف أخرى تجلى فيها هذا الاصطفاء لخليل الله إبـراهيم عليه السلام، كمسارعته في تنفيذ أمر الله له في الرؤيا[3] ، وفي دعوة قومه لعبادة الله ونبذ الأصنام، وبناء البيت.

3.2.2 اصطفاء موسى ـ عليه السلام ـ كليم الله

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ قَالَ يا موسى إِنـي اصـطَفَيتُك علَـى النـاسِ بِرسالاتِي وبِكَلامِي فَخُذْ ما آتَيتُك وكُن من الشاكِرِين ﴾ [الأعراف / 144].

مر معنا في السابق، اصطفاء الله لآدم ونـوح ـ عليهمـا الـسلام ـ وآل إبراهيم وآل عمران، كما مر معنا اصطفاء إبراهيم عليه السلام، وبيان المقـصود من ذلك الاصطفاء، والآن نقف مع كليم الله موسى ـ عليه الـسلام ـ مـع آيـة سورة الأعراف ﴿ قَالَ يا موسى إِني اصطَفَيتُك علَى الناسِ بِرسالاتِي ...﴾ لنـرى هل الاصطفاء لموسى ـ عليه السلام ـ كاصطفاء آدم ونوح وإبراهيم – علـيهم السلام-، أم ما هو المقصود بهذا الاصطفاء؟.

ويقول الإمام " الفخر الرازي" في المناسبة بين آيات سـورة الأعـراف: " أعلم أن موسى ـ عليه السلام ـ لما طلب الرؤية ومنعه الله منهـا، عـدد عليـه وجوه نعمه العظيمة التي له عليه، وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له إن كنـت قد منعتك الرؤية فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا، فـلا يـضيق صـدرك

---

(1) الحديث أخرجه: ابن حبان ج26، ص382، والحاكم في المستدرك، حديث (3977)، ج9، ص266، وإبن ماجه ج1: ص161، من حديث جندب واللفظ لابن حبان، بلفظ" إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ ابراهيم خليلاً" حديث (6532).

(2) انظر، الشعراوي، محمد متولي، " قصص الانبياء والمرسلين"، نشر المكتبة التوفيقية، مصر، (د، ط، ت)، ص132.

(3) وهي رؤياه في المنام، عندما رأى أنه يذبح ابنه، فصدق الرؤيا وامتثل الأمر ففدا الله ولده بذبح عظيم كرامة لخليله فقال سبحانه ﴿ونَاديناه أَن يا إِبراهِيم * قَـد صـدقْتَ الرؤْيا إِنا كَذَلِك نَجزِي الْمحسِنِين﴾ [الصافات / 104 – 105].

بسبب منع الرؤية، وانظر إلى سائر أنواع النعم التي خصصتك بها واشتغل بشكرها، والمقصود تسلية موسى _ عليه السلام _عن منع الرؤية..."، ثم يستطرد الشيخ حتى يصل لسبب الاصطفاء فقال "ولما ذكر أنه تعالى، اصطفاه ذكر الأمر الذي حصل به هذا الاصطفاء، فقال: ﴿بِرِسالاَتِي وبِكَلاَمِي﴾".[1]

وقد يسأل سائل فيقول: كيف قال اصطفيتك على الناس برسالاتي مع أن كثيراً من الأنبياء قد ساواه في الرسالة؟

يجيب الخازن في تفسيره عن ذلك:" ذكر العلماء عن هذا السؤال جوابين: أحدهما نسبة للبغوي" فقال: لما لم تكون الرسالة عن العموم في حق الناس كافة استقام قوله تعالى ﴿اصطَفَيتُك علَى الناسِ﴾ وإن شاركه فيها غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وإن كان قد شاور غيره إذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيماً".[2]

ثم ينتقد الخازن هذا الجواب فيقول: " نظراً لأن من جملة من اصطفاه الله برسالته محمد صلى الله عليه وسلم - وهو أفضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب".

وأما الجواب الثاني: والذي نسبه الخازن" إلى الفخر الرازي فقال "إن الله تعالى بين انه خصه بمجموع أمرين وهما الرسالة مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع لغيره فثبت انه إنما حصل التخصيص ها هنا لأنه سمع ذلك الكلام بغير واسطة وإنما كان الجواب بغير واسطة سبباً لمزيد شرف، كما أن الله عز وجل اصطفى محمداً - صلى الله عليه وسلم - برسالته وكلمه ليلة الإسراء والمعراج بغير واسطة وفرض على الأمة الصلاة، فمع هذا كله لا يستقيم".[3] أيضاً هذا الجواب في رأي الخازن. ورجح الخازن أن الجواب المعتمد هنا هو "أن الله

---

(1) الرازي، فخر الدين، "التفسير الكبير ، ومفاتيح الغيب" دار الفكر، ط1، 1981م ، مج7، جـ14، ص245.

(2) انظر البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود، (ت 516هـ)" تفسير البغوي" تحقيق: خالد العك - مروان سوار - ، دار المعرفة للنشر والتوزيع بيروت، ط3، 1992م، ج2،ص198.

(3) الرازي، فخر الدين" التفسير الكبير" ج7، ص246.

اصطفى موسى ـ عليه السلام ـ برسالته وبكلامه على الناس الذين كـانوا فـي زمانه، وذلك أنه لم يكن في ذلك الوقت أعلى منصب ولا أشرف ولا أفضل منـه، وهو صاحب الشريعة الظاهرة وعليه نزلت التوراة، فدل ذلك عليه انه اصـطفاه على ناس زمانه ومكانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم ﴿يا بنِي إِسـرائِيلَ اذْكُرواْ نِعمتِي الَّتِي أَنْعمتُ علَيكُم وأَني فَضلْتُكُم علَى الْعالَمِين﴾ [البقـرة / 122] يعني على عالمي زمانهم.[1]

جواب الخازن يبدو فيه التعميم على ما قررناه عند الحديث عن اصـطفاء آدم ونوح أن العالمين لفظ يدل على العموم، فالأنبياء والمرسلين بل جميع صـفوة الله من خلقه هو بهذا المجموع كون اصطفاءهم عاماً يصلح لكل زمـان ومكـان، فكل مصطفى منهم له منزلته وفضله، وله ميزة عن غيره ألا ترى للحديث الـذي يشير للنبي - صلى الله عليه وسلم ـ فيقول " يصعق الناس حين يصعقون فأكون أول من قام فإذا موسى آخذ بالعرش فما ادري أكان فـيمن صـعق أم حوسـب بصعقة الأولى".[2] وفسر الشيخ محمد متولي الشعراوي في تفسيره لهـذه الآيـة حيث يقول:"كأن الله يريد أن يلفتنا إلى عطاءاته وفيوضاته، وهي كثيرة أجلُ مـن أن تحصى، وهو سبحانه يذكره بها في هذا المقام، فالله اصطفاه أي اختاره وميزه على الناس، وهذه دقة الأداء، فلو أن الله سبحانه وتعالى قال ﴿ اصطَفَيتُك ﴾ ولـم يقل ﴿ علَى الناسِ﴾ لكان هذا هو الاصطفاء المطلق على كـل خلـق الله، حتـى الملائكة المقربين، ولكن الحق سبحانه وتعالى، يفهمنا أن هذا الاختيار والتفضيل، هو في دائرة البشر، ولكن الله تعالى اصطفى من الرسل غير موسى، فلذلك نقول: هناك فرق بين اصطفاء أو تفضيل برسالة منفردة، وبين تفضيل برسـالة ومعهـا شيء زائد، والرسل اصطفاهم الله سبحانه وتعالى بالرسالات، ولكن موسـى ـ ـ

---

(1) انظر الخازن، ابو الحسن علي بن محمد بن ابراهيم، " لباب التأويـل فـي معـاني التنزيل"دار الفكر للنشر(د،ط،ت)، جـ2، ص128 .

(2) أخرجه البخاري،الصحيح الجامع، من حديث ابي سعيد الخدري، كتاب الخصومات باب"ما يذكر في الاشخاص" حـديث (2412) واطرافـه (3398 ، 4638) (6916، 7427).

عليه السلام، اصطفاه الله بالرسالة والكلام". [1] وكلام الشيخ الشعراوي ـ رحمـه الله ـ جيد في هذا الصدد، ولكن يؤخذ عليه مأخـذان: الأول: تفـضيل الملائكـة المقربين على خواص البشر ـ الأنبياء ـ ويظهر في قوله "ولكن الحق سـبحانه وتعالى، يفهمنا أن هذا الاختيار هو في دائرة البشر..."وفي ذلك نظر فالله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وإِذْ قُلْنَا لِلْملاَئِكَةِ اسجدواْ لآدم فَسجدواْ إِلا إِبلِيس أَبى واستَكْبر وكَان مِن الْكَافِرِين﴾ [البقرة / 34]. وأما الثاني: انه جعل الاصطفاء والتفـضيل شـيئاً واحداً، وهو من الذين منعوا الترادف في القرآن الكريم، فلفظ الاصطفاء يختلـف عن معنى التفضيل.

4.2.2 اصطفاء (اسحاق ويعقوب ـ عليهما السلام)

الآيات الكريمة التي تتحدث عن هؤلاء المصطفين الأخيار تبدأ مـن قولـه تعالى ﴿واذْكُر عِبادنَا إبراهِيم وإِسحاقَ ويعقُوب أُولِـي الْأَيـدِي والْأَبـصارِ* إِنـا أَخْلَصنَاهم بِخَالِصةٍ ذِكْرى الدارِ * وإِنهـم عِنـدنَا لَمِـن الْمـصطَفَين الْأَخْيـارِ ﴾ [ص / 45-47].

أفردت سيدنا إبراهيم عليه السلام ـ في موضع خاص به، فلا حاجة لإعادة الكلام عنه ـ اختصاراً ـ وإلا فالحديث عنه طويل وشيق، ولكن لابد من الوقوف على هذا الموضع من سورة (ص) وسبب اصطفاء يعقوب ووالده إسحاق، ولماذا وصفهم بعدة أوصاف؟ وتفسير هذه الآيات الكريمة.

أما عن سبب اصطفاءهم فيقول الدكتور وهبه الزحيلي: " جعل الله هـؤلاء الصفوة المختارة من الأنبياء مع تقدمهم قدوة طيبة وأسوة حسنة للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وللمؤمنين من بعده، في الصبر والعمل الصالح، والعلم النافع، والقوة في العبادة، والفقه في الدين، وسبب اصطفائهم إيمانهم بالدار الآخرة وتذكرهم لها، وعملهم المحقق لرضوان الله ومغفرته ودخول جنانه فيها، فهم يذكرون الآخـرة، ويرغبون فيها، ويزهدون في الدنيا) [2]

---

(1) الشعراوي، محمد متولي، (قصص الانبياء والمرسلين)، ص314.

(2) د. الزحيلي، وهبة، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، دار الفكر للنشرـ دمشق، ط2، 1998م، ج23، ص217

أما عن مناسبة الآيات لما قبلها، فيقول البقاعي: (ولما اشتد تشوف السامع لما استحقوا به هذا الذكر، قال مؤكداً إشارة إلى محبته سبحانه لمدحهم، ورداً على من ينسب إليهم أو إلى احد منهم مالا يليق، كما كذبه اليهود فيما بدلوه من التوراة في حق إسحاق _ عليه السلام_ ... إلى أن قال " ولما كان سبب الإخلاص تذكر يوم الدين، وما يبرز فيه من صفات الجلال والجمال، وينكشف فيه من الأمور التي لا توصف عظمتها بينها بقوله" ذكرى الدار" أي تكرهم تلك الخالصة تذكيراً عظيماً لا يغيب عنهم أصلاً، الدار التي لا تستحق غيرها أن يسمى داراً [1]

ثم وصفهم بوصف آخر فهو قوله ﴿إنا أَخْلَصنَاهم بِخَالِصةٍ ذِكْرى الدار ﴾ أي جعلناهم خالصين، بمعنى طهرناهم من درن النفوس فصارت نفوسهم نقية من العيوب العارضة للبشر، وهذا الإخلاص بمعنى العصمة اللازمة للنبوة.[2]

ثم وصفهم بأنهم من المصطفين الأخيار، وهذه أوصاف تليق بهؤلاء الأنبياء الكرام.

وقد جاءت البشرى لسارة زوج إبراهيم - عليه السلام - بإسحاق ويعقوب، والملفت للانتباه أن البشرى تعدت الولد إلى ولد الولد فقال الله تعالى ﴿وامرأَتُه قَآئِمةٌ فَضحِكَتْ فَبشرنَاها بِإسحاقَ ومِن وراء إِسحاقَ يعقُوب﴾ [هود / 71] فالبشرى كما جاءت للأم (سارة)، فقد جاءت لإبراهيم عليه السلام، ولكن بزيادة في هذه البشارة فقال تعالى ﴿ {فَلَما اعتَزلَهم وما يعبدون مِن دون اللهِ وهبنَا لَه إِسحاقَ ويعقُوب وكُلّاً جعلْنَا نَبِياً * ووهبنَا لَهم من رحمتِنَا وجعلْنَا لَهم لِسان صِدقٍ علِياً ﴾ [مريم / 49 – 50] فلو نظرنا لأصل هذه الشجرة ، لوجدناها شجرة خير ممتدة من الآباء إلى الأبناء زكية الثمر، طيبة الأصل.

وأما عن اقتران يعقوب مع إسحاق، فيقول الشيخ الشعراوي - رحمه الله-: "دليل على أنها تستمتع بوجود ولدها إسحاق، ثم من بعده بولد ولده يعقوب، أي يولد في حياتهما لتقرأ عينهما به كما قرت بولده، ولو لم يرد هذا لم يكن لذكر

---

(1) البقاعي إبراهيم بن عمر الرباط، " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، ج7، ص202.

(2) انظر ابن عاشور،" التحرير والتنوير" الدار التونسية للنشر، تونس،1984،جـ22،ص276-277.

يعقوب، وتخصيص التنصيص عليه من دون سائر نسل إسحاق فائدة، ولما عـين بالذكر، دل على أنهما يتمتعان به، ويسران بولده كما سرا بمولد أبيه من قبـل"[1] وجاء اقتران إسحاق مع ولده يعقوب بأكثر من موضع في القرآن الكـريم منهـا الموضعين السابقين في سورة هود ومريم، كما ذكرا في سورة الأنعام كذلك بقوله تعالى ﴿ووهبنَا لَه إِسحاقَ ويعقُوب كُلا هدينَا﴾ [الأنعام / 84].

وأما الفخر الرازي فله رأي آخر في الاقتصار علـى ذكـر إسـحاق دون إسماعيل في هذه الآيات أي (الأنعام/84) فقال: " أن المقصود بالذكر هاهنـا فـي هذا الموضع لأن ذكر أنبياء بني إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد إسـحاق ويعقـوب، وأما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد - صلى الله عليه وسلم -، ولا يجوز ذكر محمد - عليه الصلاة والسلام - في هذا المقـام، لأنـه تعالى أمر محمداً عليه الصلاة والسلام أن يحتج على العرب في نفي الشرك بـالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك وأصر على التوحيد رزقه الله النعم العظيمة في الدين والدنيا...". [2]

والملاحظ أن كلام الإمام الفخر الرازي - فيه نظر في هذا الموضع حيث أنه تعالى ذكر أيضا بعدهم إسماعيل مقروناً مع اليسع ويونس ولوطـاً، وهـؤلاء معظمهم من أنبياء بني إسرائيل، لكن الجواب الأفضل من كلام الفخر الرازي هو أن كون الله - عز وجل - ذكر الأنبياء الأربعة الآباء الذين انحدرت من نـسلهم معظم أنبياء بني إسرائيل، وهم إبراهيم وإسحاق، ويعقوب، وذكر الأب الأول بعد الطوفان، نوح - عليه السلام - ثم ذكر بعد ذلك من ذريتهم أي الثلاثة الـسابقين في الآية أربعة عشر نبياً وهم: داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهـارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً".[3]

---

(1) انظر الشعراوي، محمد متولي، " قصص الانبياء المرسـلين"، المكتبـة التوفيقيـة، مصر، (د، ط، ت)، ص138.

(2) انظر الفخر الرازي، " التفسير الكبير ومفاتيح الغيب" دار الفكـر للنـشر، ط1،198 مج7، جـ13، ص67.

(3) انظر النيسابوري، نظام الدين، (ت850هـ)، " غرائب القـرآن ورغائـب الفرقـان" المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1996م، ج3، ص304.

5.2.2 اصطفاء النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ

لم يرد لفظ الاصطفاء في القرآن الكريم بحق النبي - صلى الله عليه وسلم- وذلك لعلو شأنه، والحديث عنه في مواضع كثيرة في القرآن الكريم عن مقامه- صلوات الله عليه وسلامه ـ كيف وقد أنزل عليه القرآن الكريم، ولكن الله عز وجل قد اصطفى شجرة هذا المصطفى عبر التاريخ، ولا أدل على ذلك من الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، وأصطفاني من بني هاشم "[1] ، ولما كان شأن النبي صلى الله عليه وسلم ـ عالياً في القرآن الكريم جعلته مع جملة الأنبياء الذين ورد في حقهم لفظ الاصطفاء في القرآن الكريم.

وإذا قرأت القرآن الكريم وجدت أن معظم سور القرآن الكريم تحدثت عن شأن هذا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ العظيم الكريم، وأشار لهذا المعنى الغماري حيث يقول: " فإذا نظرنا إلى ما في القرآن من دلائل خاصة، تقتضي على عظم قدره -عليه الصلاة والسلام-، منها: أنه عليه الصلاة والسلام أفضل المخلوقات يقيناً لا يدخله الاحتمال، إذ ليس من المعقول أن ينزل ذلك الكتاب العظيم على شخص يكون في عالم الوجود من هو أفضل منه"[2]، تطرق الشيخ في كتابه ـ المشار إليه في الحاشية ـ إلى فضيلة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من خلال ما يقارب خمسة وستون سورة من القرآن الكريم فيها دلالات على أفضلية سيد المرسلين.

فلو نظرنا لسيرته ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى قبل بعثة لوجدنا فيه كل الصفات الجليلة والنبيلة، فقد كان ـ صلى الله عليه وسلم_، قد جمع في نشأته خير ما في طبقات الناس من ميزات، وكان طرازاً رفيعاً في الفكر الصائب، والنظر

---

(1) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، "كتاب الفضائل " باب" فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم" من حديث أبي عمار شداد أنه سمع واثله بن الأصقع، ط1، 2000م حديث(2276).

(2) الغماري، عبدالله بن صديق، "دلالة القرآن المبين على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل العالمين" المكتبة المكية، ط1، 1997، ص9.

السديد، ونال حظاً وافراً من حسن الفطنة، وأصالة الفكرة، وسداد الوسيلة والهدف، كان كما قالت أم المؤمنين خديجة ـ رضي الله عنها ـ يحمـل الكـل، ويكـسب المعدوم ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق. (1)

3.2 مفردات مقاربة للاصطفاء "الاجتباء،الاختيار، الاصطناع،الإيثار ".

1.3.2 الاجتباء :

الاجتباء: لغة يقول الراغب في المفردات:" من جبى " يقال: جبـت المـاء فـي الحوض: جمعته والحوض الجامع له:جابيه وجمعها جواب، والاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء".(2)

الاجتباء اصطلاحا : يقول الراغب الأصفهاني : "واجتباء الله العبد : تخصيـصه إياه بفيض الهي يتحصل له منه أنواع من النعم بلا سعي من العبد , وذلك للأنبياء وبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء ".(3)

وعرفه الدكتور فضل حسن عباس بقوله: " الاجتباء : هو النبـوة التـي تقتـضي التعليم ".(4)

2.3.2 الاختيار :

الاختيار لغة: يقول ابن فارس :" الخاء والياء والراء" أصله العطف والميـل ثـم يحمل عليه، فالخير خلاف الشر، لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه، قال تعالى: ﴿واخْتَار موسى قَومه سبعِين رجلاً لِميقَاتِنَا فَلَما أَخَذَتْهم الرجفَةُ قَالَ رب لَو شِئْتَ أَهلَكْتَهم من قَبلُ وإِياي أَتُهلِكُنَا بِما فَعلَ السفَهاء مِنا إِن هِي إِلا فِتْنَتُك تُضِلُ بِها

---

(1) انظر المبار كفوري، صفي الرحمن، (ت1427هـ)، "الرحيق المختـوم"، مؤسـسة علوم القرآن بيروت،دار القبلة/جدة، ط4، 1987م ،ص71-73.

(2) الأصفهاني، الراغب، المفردات،ص186.

(3) الاصفهاني، المفردات، ص186.

(4) د. عباس، فضل حسن، "قصص القرآن الكريم"، دار الفرقان للنـشر، عمـان، ط1، 2000م، ص381.

من تَشَاء وتَهدِي من تَشَاء أَنتَ ولِينَا فَاغْفِر لَنَا وارحمنَا وأَنتَ خَيـر الْغَـافِرِين ﴾ [الأعراف155]، ويقول هو الخيرة خفيفة، مصدر اختار خيره". (1)

والاختيار اصطلاحاً : "يقول الراغب الأصفهاني " والاختيار : طلب ما هو خيـر وفعله". (2)

وعرفه ابن عاشور :" تكلف طلب ما هو خير ". واستعملت صيغة التكلـف فـي معنى إجادة طلب الخير. (3)

3.3.2 الإيثار لغة واصطلاحا:

الإيثار: لغة: عند ابن فارس: "اثر" الهمزة والثاء والراء ، له ثلاثة أصول:

1- تقديم الشيء.

2- ذكر الشيء .

3- رسم الشيء الباقي .

وجمع الأثير: أثراء، والإثارة : البقية من الشيء ، والجمع أثارات، ومنه قولـه تعالى : ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الاحقاف /4]. (4)

وعند الراغب الأصفهاني :" اثر الشيء : حصول ما يدل على وجوده، وأثره أي: علامة تؤثر في الأرض ليستدل بها على أثره ، وتسمى الحديدة التي يعمل بها ذلك المئثرة .

والمآثر: ما يروى من مكارم الإنسان , والإيثار للتفـضل ومنـه قولـه تعـالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ [الحشر /٩] ، وقوله تعالى : ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف /91]

---

(1) انظر ابن فارس، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق عبد الـسلام هـارون، دار الجيـل، بيروت، ط1، 1991م، ج2، ص232.

(2) انظر الراغب، "المفردات"، ص201.

(3) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير،عنـد تفـسير ايـة سـورة طـه(13)، الـدار التونسية،1984، ج16،ص189.

(4) انظر ابن فارس، ابي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، " معجم مقـاييس اللغـة "، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، 1991م، ج1، ص53-56.

والاستئثار : التفرد بالشيء من دون غيره و وقولهم : استأثر الله بفلان ,كناية عن موته تنبيه انه ممن اصطفاه ، وتفرد به من دون الورى تشريفا له . ورجل أثر :" يستأثر على أصحابه ".(1)

الإيثار اصطلاحاً : بعض كتب التفسير إشارات لمعنى الإيثار ، كما عند قوله تعالى ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوسف /91] أن الإيثار هو" التفضيل بالعطاء ".(2)

هناك تعريف ذكره الجرجاني (3) " الإيثار : أن يقدم غيره على نفسه في النفع له والدفع عنه ، وهو النهاية في الإخوة ".(4)

4.3.2 الاصطناع لغة واصطلاحا :

وننتقل لتعريف الاصطناع، وهو مأخوذ من الصنع جاء في اللسان : " الاصطناع افتعال من الصنيعة وهي العطية والكرامة والإحسان ، واصطنعه : اتخذه وفي حديث آدم : قال لموسى: أنت كليم الله الذي اصطنعك لنفسه، وقال أبن الأثير:"هذا تمثيل لما أعطاه الله من منزله التقريب والتكريم. (5) .

يقول الأصفهاني:" الصنع : إجادة الفعل ، فكل صنع فعل، وليس كل فعل صنعا، ولا ينسب إلى الحيوانات والجمادات كما ينسب إليها الفعل، قال تعالى: ﴿ صـنْع اللهِ الذِي أَتْقَن كُل شَيءٍ إنه خَبِير بِما تَفْعلُون ﴾ [النمل /88]، وأما الاصطناع : المبالغة في إصلاح الشيء، وقوله تعالى : ﴿ واصطَنَعتُك لِنَفْسِي﴾ [طه /41] وقوله : ﴿ {أن اقْذِفيهِ فِي التابوتِ فَاقْذِفيهِ فِي اليم فَلْيلْقِهِ اليم بِالساحِل يأْخُذْه عدو لي

---

(1) الاصفهاني، الراغب، المفردات،62.

(2) وهذا التعريف ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير عند تفسير اية 9 من سورة يوسف ج13،ص50.

(3) الجرجاني هو العلامة علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، ولد سنة (740هـ)، وتوفي سنة (816)هـ في تاجو (جرجان) وهو فيلسوف من المتكلمين، وتوفي في سمر قند.

(4) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، تحقيق د. عبدالمنعم الحنفي، دارالرشاد للنشر (د.ت)ص48.

(5) ابن منظور لسان العرب، مادة "صنع"، ج2508/4.

وعدو له وَأَلْقَيتُ علَيك محبةً مني ولِتُصنَع علَى عيني﴾ [طه /39] إشارة إلى نحو ما قال بعض الحكماء : " إن الله تعالى إذا أحب عبداً تفقده كمـا يتفقـد الـصديق صديقه".[1]

وأما في الاصطلاح: فهو قريب من معنى اللغوي عند الراغب، فقد قال أبو البقاء الكفوي: "واصطنعتك لنفسي":"اخترتك لمحبتي"[2].

وللشيخ ابن عاشور في معنى الاصطناع كلام حسن حيث قـال:"والـصنع مستعار للتربية والتنمية، تشبيهاً لذلك بصنع شيء مصنوع. ومنه يقال لمن أنعـم عليه أحد نعمة عظيمة: هو صنيعة فلان"[3] .

فالاصطناع على هذا المعنى يكون فيه زيادة على الاختيـار مـن جهـة، ومبالغة في الصنع وإتقانه من جهة أخرى، لذلك قال ابن عاشور في موضع آخر "والاصطناع: صنع الشيء باعتناء، وهو تمثيل لهيئة الاصطفاء لتبليـغ الـشريعة بهيئة من يصطنع شيئاً لفائدة نفسه فيعرف فيه غاية إتقان الصنعة." [4].

قال الزمخشري :" هذا تمثيل لما حاله من منزلة التقريب ، مثل حاله بحـال مـن يراه بعض الملوك لجوامع خصال فيه، وخصائص أهلا لئلا يكون أحـد أقـرب منزلة منه إليه، ولا ألطف محلا فيصطنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه، ولا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواه ".[5]

4.2 الفرق بين التفضيل والاصطفاء و(الاجتباء والاختيار والاصطناع والإيثار).

يرجح عدم الترادف في اللغة، ومصطلحات القرآن الكريم، وأن كل لفظ له معنـاه المستقل، وان تقاربت الألفاظ ومما يجدر الإشارة إليه أن الأستاذ إسحاق عويضة[6]

---

(1) الاصفهاني، الراغب،المفردات، ص493.

(2) الكوفي، ابي البقاء، الكليات، ص131.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج16، ص218.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج16، ص223.

(5) الزمخشري، جار الله أبوالقاسم "الكشاف عن حقائق التنزيل"، الدار العالميـة للنـشر، بيروت، ج2،ص538.

(6) ابو صعيليك، إسحاق عويضه"الاصطفاء في القـرآن الكـريم، " رسـالة ماجـستير، إشراف الاستاذ الدكتور فريد مصطفى السلمان، الجامعة الاردنية، 2002م، ص14.

رجح عدم الترادف بين بعض المصطلحات التي أشار إليها، ولكنه لم يفرق بينها ، وجعلها جميعاً بمعنى الاختيار والاستخلاص، ولكن الناظر في هذه الآيات يجد أن كل لفظ له معناه الدقيق فيقول محمد نور الدين المنجد : " أن الإيثار لفظ عام يراد به التقديم، ويمكن أن يطلق على الأدنى والأعلى، في حين أن التفضيل لفظ خاص يراد به الزيادة في الخير، ولا يطلق إلا على الأعلى ، أما الاختيار فاتخاذ الشيء نظراً لما فيه من الخير ، والاصطفاء اتخاذ الشيء نظراً لما فيه من الصفاء ،ودلالة الصيغة والاشتقاق في هذين الآخرين لا تحتاج إلى مزيد إيضاح ،والقول بترادفها يلغي دلالة الجذر اللغوي لهما ، لأنه يجعل الخير والصفاء مترادفين وهما مختلفان ، وبذلك نجد أن الإيثار غير التفضيل ، وكلاهما مخالف للاختيار والاصطفاء، ولا يصح القول بترادف هذه الألفاظ عند التحقيق". (1)

أما أبو الهلال العسكري في " الفروق اللغوية " في تفريقه بين الاختيار والإيثار: "أن الإيثار على ما قيل هو الاختيار المقدم والشاهد قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف/91] أي قدم اختيارك علينا، وذلك أنهم كانوا مختارين عند الله تعالى لأنهم كانوا انبياء واتسع في الاختيار فقيل لأفعال الجوارح اختيارية تفرقه بين حركه البطش وحركة الجس وحركة المرتعش ، كقوله : اخترت المروي (2) على الكتان أي اخترت لبس هذا على لبس هذا. وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾[الدخان/32] أي اخترنا ارسالهم وتقول في الفاعل مختار لكذا، وفي المفعول محتار من كذا، وعندنا أن قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا ﴾[يوسف/91] معناه انه فضلك الله علينا، وأنت من أهل الاثره عندي أي ممن أفضله على غيره بتأثير الخير والنفع ، واخترتك أخذتك

---

(1) المنجد ، محمد نور الدين، "الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق" ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1997، ص160.

(2) نوع من اللباس.

للخير الذي فيك في نفسك، ولهذا يقال آثرتك بهذا الثوب، وهذا الـدينار لا يقـال اخترتك به، وإنما يقال اخترتك لهذا الأمر" .[1]

5.2 المواضع التي وردت فيها هذه الألفاظ:

الاصطفاء في القرآن الكريم :

ورد لفظ" الاصطفاء" ومشتقاته ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم علـى النحو الآتي:

1. قال تعالى ﴿ ومن يرغَب عن ملةِ إبراهِيم إلا مـن سـفِه نَفْـسه ولَقَـدِ اصطَفَينَاه فِي الدنْيا وإِنه فِي الآخِرةِ لَمِن الصالِحِين﴾ [البقرة /130].
2. قال تعالى ﴿{ووصى بِها إِبراهِيم بنِيهِ ويعقُوب يا بنِي إِن اللّه اصـطَفَى لَكُم الدين فَلاَ تَموتُن َإلا وأَنتُم مسلِمون﴾ [البقرة/132].
3. قال تعالى ﴿وقَالَ لَهم نَبِيهم إِن اللّه قَد بعثَ لَكُم طَالُوتَ ملِكاً قَالُواْ َأنـى يكُون لَه الْملْك علَينَا ونَحن َأحق بِالْملْكِ مِنْه ولَم يؤْتَ سعةً من الْمال قَالَ إِن اللّه اصطَفَاه علَيكُم وزاده بسطَةً فِي الْعِلْمِ والْجِسمِ واللّه يؤْتِي ملْكَـه من يشَاء واللّه واسِع علِيم﴾ [البقرة /247].
4. قال تعالى ﴿إِن اللّه اصطَفَى آدم ونُوحاً وآلَ إِبراهِيم وآلَ عِمران علَـى الْعالَمِين﴾ [آل عمران/33].
5. قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران /42].

[1] العسكري، أبو الهلال الحسن بن عبدالله " الفروق اللغويـة" تحقيـق حـسام الـدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان(د،ط) 1981م ص 101-102.

6. قال تعالى ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف /144].

7. قال تعالى ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج /75].

8. قال تعـالى ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل/59].

9. قال تعالى ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر /32].

10. قال تعالى ﴿أَصطَفَى الْبَنَاتِ علَى الْبنِين﴾ [الصافات /153].

11. قال تعالى ﴿وإِنهم عِندنَا لَمِن الْمصطَفَين الْأَخْيار﴾ [ص /47].

12. قال تعالى ﴿لَو أَراد الله أَن يتخِذَ ولَداً لاصطَفَى مِما يخْلُقُ ما يـشَاء سبحانَه هو الله الْواحِد الْقَهار﴾ [الزمر /4].

الاجتباء في القرآن الكريم :

ورد لفظ "الاجتباء"ومشتقاته في القرآن الكريم في تسعة مواضع هي علـى النحو الآتي.

1. قال تعالى ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام/87].

2. قال تعالى ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُواْ لَوْلاَ اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف/203].

3. قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف/6].

4. قال تعالى ﴿شَاكِراً لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل/121].

5. قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم/58].

6. قال تعالى ﴿ثُمَّ اجتَبَاه ربه فَتَاب علَيهِ وهدى﴾ [طه /122].

7. قال تعالى ﴿وجاهِدوا فِي اللهِ حق جِهادِهِ هو اجتَباكُم وما جعلَ علَيكُم فِـي الدين مِن حرجٍ ملةَ أَبِيكُم إِبراهِيم هو سماكُم الْمسلِمين مِن قَبلُ وفِـي هـذَا لِيكُون الرسولُ شَهِيداً علَيكُم وتَكُونُوا شُهداء علَى الناسِ فَأَقِيموا الصلَاةَ وآتُوا الزكَاةَ واعتَصِموا بِاللهِ هو مولَاكُم فَـنِعم الْمـولَى ونِعـم النـصِير ﴾ [الحج /78].

8. قال تعالى ﴿شَرع لَكُم من الدين ما وصى بِهِ نُوحاً والَّذِي أَوحينَا إِلَيك ومـا وصينَا بِهِ إِبراهِيم وموسى وعِيسى أَن أَقِيموا الدين ولَا تَتَفَرقُوا فِيهِ كَبر علَى الْمشْرِكِين ما تَدعوهم إِلَيهِ الله يجتَبِي إِلَيهِ من يشَاء ويهدِي إِلَيهِ من ينِيـب﴾ [الشورى /13].

9. قال تعالى ﴿فَاجتَباه ربه فَجعلَه مِن الصالِحِين﴾ [القلم /50].

إن الناظر في موضع الاجتباء في القرآن الكريم، يجد أن الموضـع الأول جاء بعد ذكر جملة من الأنبياء والمرسلين الذي قص لنا القرآن الكريم قصـصهم، وهم من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قـصهم الله في كتابه أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك، ثم بعد ذكرهم ذكر أنه أيضاً اختار من أبائهم وذريتهم وإخوانهم للهداية والطريق المـستقيم [(1)]. وأن الهدايـة والاجتباء قد شملهم كلهم بعد ذكر أصولهم وفروعهم [(2)].

وأما الموضع الثاني جاءت في موضع الرد على الكفار والتخاطب في قوله " ألم تأتهم " الكفار. والآية هنا إما بمعنى الآية في القـرآن الكـريم والمقـصود

(1) انظر السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت 1376 هـ)، " تيسير الكريم الرحمن فـي تفسير كلام المنان "، مكتبة الرشد للنشر، ط7، 2009م، ص 263 – 264.

(2) انظر ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي، (ت 774 هـ)، " تفسير القرآن العظيم "، دار طيبة للنشر، ط1، 2009م، جـ3، ص 298.

اخترعتها من قبل نفسك، وإما بمعنى المعجزة بمعنى طلبتها مـن الله، وتخيرتهـا عليه [3].

وأما الموضع الثالث فقد جاء في سياق الرؤيا التي رآها سيدنا يوسـف – عليه السلام – وبعد أن أخبر والده يعقوب – عليه الـسلام – بالرؤيـا، فعلـم أن تأويلها ارتفاع منزلته، خاف عليه من الحسد وأخبـره أن الله سـيختاره ويعلمـه الشرع وتعبير الرؤى [1]والاجتباء له اختيار رباني.

وأما الموضع الرابع فقد ورد في سورة النحل في سـياق الحـديث عـن إبراهيم – عليه السلام – بعد أن وصفه الله عز وجل بأنه أمة جامعاً لخصال الخير هادياً مهتدياً، مقبلاً على الله عز وجل، منيباً له، شاكراً لنعم الله عليه سواء الـنعم الظاهرة والباطنة على حد سواء فكان نتيجة هذه الخصال الحميدة أن اجتباه ربـه، فأختصه وجعله صفوة خلقه، وخيار عباده المقربين.[2]

والموضع الخامس في سورة (مريم) جاء أيضاً في سياق الحديث عن جملة من الأنبياء والمرسلين ومن سار على نهجهم وسـنتهم، وجعـل علامـة هـؤلاء المتحببين أنهم إذا سمعوا آيات الرحمن توجهوا إلى الله عز وجل بالسجود والبكاء خشية من الله عز وجل.

وأما الموضع السادس في سورة (طـه) جاءت في سياق قصة أبو البـشر آدم – عليه السلام – بعد ما وقع منه من مخالفة أمر الله عز وجل في عدم الأكل

---

(3) انظر ابن جزي الغرناطي، محمد بن احمد، (ت 741 هـ)، " التسهيل لعلوم التنزيل"، اعتنى به الدكتور عبد الله الخالدي، تحقيق سامي بن محمد السواقه، دار الأرقم للنشر، (د، ط، ت)، جـ1، ص 319.

(1) انظر ابن جزي الغرناطي، محمد بن احمد، (ت 741 هـ)، " التسهيل لعلوم التنزيل"، اعتنى به الدكتور عبد الله الخالدي، تحقيق سامي بن محمد السواقه، دار الأرقم للنشر، (د، ط، ت)، جـ1، ص 381.

(2) انظر السعدي، " تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان "، ص 451 – 452.

من الشجرة فمن الله عليه أن اجتباه أي قربه ثم قبل توبته [3]، وفي هـذا إشـارة لقبول التوبة من المذنب إذا صدق الله عز وجل.

وفي الموضع السابع في سورة (الحـج) جاء في سياق الحث على الجهاد، وأن أمة سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلم – هي أمة مختارة من بين الأمم، ولا عجب في ذلك فهذه الأمة تنتمي لأبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – كما أن من فضل هذه الأمة أن الله قد سماهم بالمسلمين فيما تقدم من الكتب السماوية وفي هذا القرآن أيضاً.[4]

والموضع الثامن في سورة (الشورى) جاء في سياق الحديث عـن اتفـاق الشرائع في الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ثم أن اجتباء الله لمن يـشاء من خلال الهداية لمن يستحقها. ويكتب الضلالة لمن قدمها على طريق الرشد.[1]

والموضع الأخير في سورة (القلم) فـي سـياق التعلـيم الربـاني لنبينـا محمد – صلى الله عليه وسلم – عدم الاستعجال والضجر كما حصل لسيدنا يونس – عليه السلام – وأخبره بقصة ثم تقريب الله عز وجل.[2]

الاختيار في القرآن الكريم :

ورد "الاختيار" ومشتقاته في ثلاثة مواضع هي كالأتي:

1. قال تعالى ﴿واخْتَار موسى قَومه سبعِين رجلاً لمِيقَاتِنَا فَلَما أَخَذَتْهم الرجفَـةُ قَالَ رب لَو شِئْتَ أَهلَكْتَهم من قَبلُ وإِياي أَتُهلِكُنَا بِما فَعلَ السفَهاء مِنا إِن هِي إِلا فِتْنَتُك تُضِل بِها من تَشَاء وتَهدِي من تَشَاء أَنتَ ولِينَا فَاغْفِر لَنَا وارحمنَا وأَنتَ خَير الْغَافِرِين﴾ [الأعراف /155].
2. قال تعالى ﴿وأَنَا اخْتَرتُك فَاستَمِع لِما يوحى﴾ [طه /13].
3. قال تعالى ﴿ولَقَدِ اخْتَرنَاهم علَى عِلْمٍ علَى الْعالَمِين﴾ [الدخان /32].

---

(3) انظر جلال الدين المحلي (ت 864 هـ)، وجلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، " تفسير الجلالين "، قدم له وهذبه الدكتور محيي الدين مستو، دار الكلم الطيب للنـشر، ط1، 2007م، ص 320.

(4) انظر ابن جزي الغرناطي، " التسهيل لعلوم التنزيل "، جـ2، ص 47.

(1) انظر ابن كثير، " تفسير القرآن العظيم "، جـ 7، ص 194 – 195.

(2) انظر ابن جزي، " التسهيل لعلوم التنزيل "، جـ2، ص 402 – 403.

الاصطناع في القرآن الكريم :

ورد لفظ "الاصطناع" ومشتقاته مرتين في القرآن الكريم على النحو الآتي:

1. قال تعالى ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه / 39].
2. قال تعالى ﴿واصطنَعتُك لِنَفْسِي﴾ [طه /41].

الإيثار في القرآن الكريم :

ورد لفظ " الإيثار " ومشتقاته أربع مرات في القرآن الكريم علـى النحـو الآتي:

1. قال تعالى : ﴿قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ [يوسف /91].
2. قال تعالى : ﴿والذِين تَبوؤُوا الدار والْإِيمان مِن قَبلِهم يحِبون من هاجر إِلَيهم ولَا يجِدون فِي صدورِهِم حاجةً مما أُوتُوا ويؤْثِرون علَى أَنفُسِهِم ولَو كَـان بِهِم خَصاصةٌ ومن يوقَ شُح نَفْسِهِ فَأُولَئِك هم الْمفْلِحون ﴾ [الحشر /9] .
3. قال تعالى : ﴿وآثَر الْحياةَ الدنْيا ﴾ [لنازعات / 38].
4. قال تعالى : ﴿بلْ تُؤْثِرون الْحياةَ الدنْيا﴾ [الأعلى /16].

الفصل الثالث

" الرد على المشركين في اصطفاء الذكور على الإناث في القرآن الكريم "

تمهيد:

تحدثت في الفصل الثاني عن اصطفاء الأنبياء والمرسلين – صلوات الله وسلامة عليهم – وخرجت بأن هذا الاصطفاء ، لهؤلاء الأنبياء كان للصفات الجليلة فيهم ، كما أن النبوة والرسالة كانت مختصة بالرجال دون النساء ، وذلك لأن طبيعة المهمة تحتاج إلى مخالطة، وصبر في تحمل المشاق التي تصاحب الدعوة من مكابدة عناد المتكبرين ، وطبيعة المرأة لا تلائم هذه المهمة .

وفي هذا الفصل سأرد فيه على الرد على المشركين في دعواهم اصطفاء الذكور على الإناث، وأحببت أن يكون هذا الفصل بعد اصطفاء الأنبياء والرسل الذكور، لأبين فيه أن المسألة ليست تفضيل للذكور على الإناث، وإنما ميزان التفاضل كان في العمل الصالح والتقوى .

جاء هذا الفصل ليجلي أي شبهه قد تنقدح في الذهن، وبيان الآيات التي ذكر فيها اصطفاء الذكور على الإناث، وأنها جاءت في موضع الرد على المشركين الذين كانوا يكرهون البنات، ويتشاءمون منهن، بل كان الأمر يصل إلى حد وأدهن، فسبحان الله الذي رد عليهم في مواضع عديدة في كتابة العزيز على

سوء حكمهم وجهلهم، وهذه المواضع هي محور الحديث في هذا الفصل – إن شاء الله العلي القدير - .

ورد ذكر اصطفاء الذكور على الإناث في القرآن الكريم في أربعة سـور، في القرآن المكي، وهذه السور هي الإسراء، والصافات، والزمر، الزخرف، كمـا ورد صيغة هذا الاصطفاء تارة بالاصطفاء، وتارة بالاصفاء وفي هذا الفصل عدد من المسائل :

المسألة الأولى : لماذا جاء ذكر هذه المسألة في القرآن المكي؟

من المعلوم أن طبيعة القرآن المكي، جاء لتصحيح المفاهيم الفاسدة السائدة في الجاهلية من حيث الديانة، والأخلاق، والمعاملات، ومن أبرز ما كـان سـائداً آنذاك كراهية البنات، حتى أنها كانت شؤما عندهم، منذ لحظة ولادتهـا، فأمـا أن يقوموا بقتلها أو يتوارى أحدهم من الناس مخافة التعيير مما بشر به، وقد ذكر الله عز وجل هذا في كتابه العزيز، مبيناً حالهم لحظة التبشير بالأنثى، فقال عز وجل: ﴿ وإِذَا بشر َأحدهم ِبما ضرب ِللرحمن مثَلاً ظَل وجهه مـسوداً وهـو كَظِـيم ﴾ [الزخرف/17] .

واسوداد الوجه من شدة الغضب والغيظ، إذ يصعد الدم إلى الوجه، فتصير حمرته إلى سواد، والمعنى تغيظ، والكظيم : الممسك، أي عن الكلام كرباً وحزناً. [1]

وقال عن وأدهن : ﴿ وإِذَا الْموؤُودةُ سئِلَتْ * بِأَي ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [التكوير/8–9].

المسألة الثانية : ما الفرق بين " اصطفى" و" أصفى" ؟

مر معنا سابقاً عند تعريف الاصطفاء ، أنه بمعنى الخلوص من كـل شـوب، أو تناول صفو الشيء. [2] وأما " أصفى" دون الطاء، بمعنى " الانقطاع"، مثل: أصفت الدجاجة، إذا انقطع بيضها، إصفاءً، وذلك كأنها صفت أي خلصت من البيض، ثم جعلت ذلك على وزن" أفعلت" فرقاً بينها وبين سائر ما في بابها.[3]

---

(1) انظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الـدار التونـسية، (د، ط)، 1984م، ج25، ص180.

(2) انظر ابن فارس، " مقاييسس اللغة"، ج3، ص292، والراغب، "المفردات"، ص488.

(3) ابن فارس، "مقاييس اللغة"، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، ط1، 1991م، ج3، ص292.

" واصفى الشاعر: إذا انقطع شعره تشبيهاً بذلك، من قولهم " أصفى الحافر: إذا بلغ صفاً، أي : صخراً منعه من الحفر".[4]

المسألة الثالثة: وقفة مع هذه المواضع، " أيه سورة الإسراء إنموذج".

قال تعالى : ﴿ أَفَأَصفَاكُم ربكُم بِالْبنِين واتخَذَ مِن الْملآئِكَةِ إِنَاثاً إِنكُم لَتَقُولُون قَولاً عظِيماً﴾ [الإسراء/40].

أما عن مناسبة هذه الآية لسابقاتها يقول البقاعي : " ولما كان ادعاءهم إن الملائكة بنات الله إدعاءً، لأن له مناسباً ومجانساً في أخص الصفات، وهي الإلهية، وكانت عبادتهم لهم تحقيقاً لذلك، وكان ذلك أزيد من مجرد الشرك في الجهل، ساقه مساق التقريع والتوبيخ تنبيهاً على ظهور فساده متصلاً بما مـضى مـن النهـي عـن الشرك".[1]

وقوله ﴿ أَفَأَصفَاكُم﴾ يقال أصفاه بالشيء إذا آثر به، ويقال للضياع التي يستخصها السلطان بخاصية الصوافي، وقال النحويون : هذه الهمزة همزة تدل على الإنكـار على صيغة السؤال عن مذهب ظاهر الفساد، ولا جواب لصاحبه إلا بما فيه أعظم الفضيحة ".[2]

ويقول حول معنى الأيه الشيخ سعيد حوى:" أفخصكم ربكم على وجه الخـصوص والصفاء بأفضل الأولاد- وهم البنون- وأتخذ أدونهم في مفاهيمكم وهي البنات إن هذا خلاف ما عليه عقولكم، فالعبيد لا يؤثرون بأجود الأشياء وأصـفاها، ويكـون أردؤها وأدونها للسادات، إن كلامكم هذا كلام فظيع حيث أضفتم إلـى الله الأولاد، وهي من خواص الأجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون، ثم تعبدونها وتشركون".[3]

---

(4) الراغب، "المفردات"، تحقيق صفوان عدنان داودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1992م، ص488.

(1) البقاعي، برهان الدين (ت885هـ)، " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط1، 1979م، ج11، ص418.

(2) انظر الفخر الرازي، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، ج20، ص216.

(3) حوى، سعيد، " الاسـاس فـي التفـسير"، دار الـسلام للنـشر، ط1، 1985م، ج6، ص3065.

وأما الفاصلة القرآنية فقد ختم الله عز وجل الآية بمزيد من الإنكـار علـيهم فـي ادعاءهم فقال : ﴿ إِنكُم لَتَقُولُون قَولاً عظِيماً﴾، وأكد فعل " تقولون" بمصدره "قولاً" تأكيد كلاماً صدر عن غير رؤية، لأنه لو تأمله قائله أدنى تأمل، لوجده غير داخل تحت قضايا المقبول عقلاً، ثم وصف هذا القول بعد تنكيره بالعظيم وهو القوي أي أنه عظيم في الفساد والبطلان بقرينه سياق الإنكار.[4]

ولنا أن نتسأل: لماذا رد الله عز وجل عليهم؟ علماً أن قولهم ظاهر البطلان والفساد، فهو الخالق وهو الذي يهب الذكور والإناث؟!

يجيب سيد قطب عن هذا فيقول: " هذا كله على سبيل مجاراتهم فـي ادعـاءاتهم لبيان ما فيها من تفكك وتهافت، وإلا فالقضية كلها مستنكرة من الأساس".[1]

المسألة الرابعة : لماذا قدم الإناث على الذكور، وكيف نجمع بين هذه النصوص وبين قوله تعالى : ﴿ وليس الذكر كالأنثى﴾ [آل عمران/36]؟.

إن تقديم الذكور على الإناث في هـذه الآيـة وغيرهـا كقولـه تعـالى : ﴿ لِلهِ ملْك السماواتِ والْأرضِ يخْلُقُ ما يشاء يهب لِمن يشاء إِنَاثاً ويهب لِمن يشاء الذكُور * أَو يزوجهم ذُكْراناً وإِنَاثاً ويجعلُ من يشاء عقِيمـاً إِنـه علِـيم قَـدِير﴾ [الشورى/49-50].

هذا تقديم هو من باب التعريض بالمشركين، وقد قدم الإناث في آية سورة الشورى على الذكور في ابتداء تعداد النعم الموهوبة على عكس العادة في تقـديم الـذكور على الإناث.[2]

إن الدين الإسلامي الحنيف لا يفرق بين الذكر والأنثى، بل جعل لكل منهما دوراً يقوم به، حيث لا يستغني أحدهم عن الآخر، كما جعـل ميـزان التفاضـل بالأعمال والتقوى لا بالأجناس والألوان والثقافات، فقال الله عز وجل: ﴿ يا أَيهـا الناس إِنا خلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُم شعوباً وقَبائِلَ لِتَعارفُوا إِن أَكْرمكُم عِنـد اللهِ أَتْقَاكُم إِن الله علِيم خبِير﴾ [الحجرات/13]، وقال الله عز وجـل : ﴿ ومـن

(4) انظر ابن عاشور، "التجرير والتنوير"، ج15، ص108.

(1) قطب، سيد، " في ظلال القرآن"، ط9، 1980م، ج14، ص330.

(2) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج25، ص138.

يعملْ مِن الصالِحاتَ مِن ذَكَرٍ أَو أُنثَى وهو مؤْمِن فَأُولَـئِك يـدخُلُون الْجنـةَ ولاَ يظْلَمون نَقِيرا﴾ [النساء/124]، وقال أيضاً : ﴿ من عمِلَ صالِحاً من ذَكَرٍ أَو أُنثَـى وهو مؤْمِن فَلَنُحيِينه حياةً طَيبةً ولَنَجزِينهم أَجرهم بِأَحـسن مـا كَـانُواْ يعملُـون﴾ [النحل/97] ، وقال عز وجل : ﴿ من عمِلَ سيئَةً فَلَا يجزى إِلَا مِثْلَها ومن عمِـلَ صالِحاً من ذَكَرٍ أَو أُنثَى وهو مؤْمِن فَأُولَئِك يدخُلُون الْجنةَ يرزقُـون فِيهـا بِغَيـرِ حِسابٍ﴾ [غافر/40].

هذه الآيات الكريمة تدل دلالة صريحة على أنه لا فضل لجنس على جنس إلا بالتقوى والعمل الصالح، وإنما ذكر الله عز وجل تقديم الذكور على الإناث من باب الرد على المشركين الذين قسموا بين الأولاد إلى ذكور وإناث، ثم اختـاروا لأنفسهم بزعمهم الأفضل، ثم جعلوا لله عز وجل البنات، ثم وصفوا الملائكة بأنهم إناث ثم عبدوا الملائكة فعجباً لقسمتهم وصدق الله حين قال : ﴿ تِلْـك إِذاً قِـسمةٌ ضِيزى﴾ [النجم/22]/ و ﴿ ضِيزى﴾ أصلها فعلى بضم الفاء ولكنها كسرت لليـاء التي بعدها، يقال: ضازه حقه إذا نقصه".[1]

فأي إنقاص في حق الله عز وجل من هذه الدعوى الباطلة .

وأما الجمع بين هذه النصوص وقوله تعالى : ﴿ ولَيس الذكر كالأُنثَى﴾ [آل عمران/36]. فكما قلنا التقديم في تلك النصوص كان رداً على المشركين وإنكارا عليهم، وأما هذه الآية في (سورة آل عمران)، فموضوعها يحـدد سـبب قـول إمرأت عمران لهذا القول إن كثيراً من الناس يقطع هذا النص، ويستدل به علـى تفضيل الذكور على الإناث مطلقاً، وهذا الكلام غير صحيح، لأن المتتبع للآيـات القرآنية، يجد أن سياقها لا يسعف فهم من ذهب لذلك، فإن الآيات الكريمة تبدأ من قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ امرأَةُ عِمران رب إِني نَذَرتُ لَك ما فِي بطْنِي محرراً فَتَقَبلْ مِني إِنك أَنتَ السمِيع الْعلِيم * فَلَما وضعتْها قَالَتْ رب إِني وضعتُها أُنثَى واللّه أَعلَم بِما وضعتْ ولَيس الذكر كالأُنثَى وإِني سميتُها مريم وإِني أُعِيذُها بِك وذُريتَها مِـن الشيطَان الرجِيمِ * فَتَقَبلَها ربها بِقَبولٍ حسنٍ وأَنبتَها نَباتاً حسناً وكَفلَها زكَريا كُلما

---

[1] السيوطي، جلال الدين، (ت911هـ)، "معترك الأقران في إعجاز القـرآن"، ضـبطه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، ج2، ص586.

دخَلَ علَيها زكَرِيا الْمِحراب وجد عِندها رِزقاً قَالَ يا مريم أَنى لَكِ هـذَا قَالَتْ هـو مِن عِندِ اللّهِ إن اللّه يرزقُ من يشَاء بِغَيرِ حِسابٍ﴾ [آل عمران/35-37].

فلنقف مع سياق الآيات الكريمة: نجد أن امرأت عمران قالت ﴿ محـرراً ﴾ ومعناها أنه ليس مملوكاً لأحد، لقد كانوا قديماً عندما ينذرون ابنا للبيـت المقـدس فهذا النذر يستمر ما دامت لهم الولاية عليه، ويظل كما أرادوا إلى أن يبلـغ سـن الرشد، وعند بلوغ سن الرشد، فإن للابن أن يختار بين أن يظل كما أراد والده أو أن يحيا حياته كما يريد، وكلمة " الولد " تطلق على البنت أيضاً، ولكن الاستعمال الشائع بين الناس إطلاق " كلمة الولد " على الذكر، والولد لغة هو المولود سـواء أكان ذكراً أم أنثى. (1)

وكلمة " نذر " يفهم منها أنه أمر أريد به الطاعة فوق تكليف المكلف مـن جنس ما كلفه به الله عز وجل، وقوله " فتقبل مني"هو أخذ الشيء برضـا، وقـد استجاب الله عز وجل لأمرأت عمران، فقال: ﴿ فَتَقَبلَها ربها بِقَبولٍ حسنٍ ﴾.

ونعود لكلمة " محرراً " أي ذكراً لخدمة البيت، ويحتمل أن يكون قولـه ﴿ ولَـيس الذكر كالأُنثَى﴾ من قولها أو من قول الله عز وجل، فيحتمل على أنه من قـول الله عز وجل على أن هذه الأنثى لها شأن عظيم، أكثر من الذكر الذي كنت تمنيه، فإنه لا يصل لمرتبة هذه الأنثى، ويحمل على أنه كان من كلامها على أنها قالت: يـا رب إن الذكر ليس كالأنثى، إنها لا تصلح لخدمة البيت. (2)

ونقف مع موضوع آخر أيضاً، وهو "سورة الصافات إنموذج" ومن المعلوم أن سورة الصافات سورة مكية، وشأنها شأن القرآن المكي في تصحيح المفـاهيم والرد على المشركين في مزاعمهم، وقد كان هذا الموضوع مـن الموضـوعات المطروحة في السورة، وهو الرد على المشركين في إدعاءهم أن لله الإناث، وأن الملائكة الذين هم عباد الله المكرمون إناثاً، فجاء الرد عليهم والإنكار أيضاً في هذه السورة وكأن الله عز وجل ذكر المسألة إجمالاً في سورة الإسراء ثم ذكـر هنـا بعض التفاصيل من الافتراءات التي تناقلها المشركون، يقـول الله عـز وجـل:

---

(1) الراغب، "المفرادت"، ص883.

(2) انظر الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي"، اخبار اليـوم، (د، ط، ت)، ج3، ص1432- 1436.

﴿ فَاستَفْتِهم أَلِربِك الْبنَاتُ ولَهم الْبنُون * أَم خَلَقْنَا الْملَائِكَةَ إِنَاثاً وهم شَاهِدون * أَلَا إِنهم من إِفْكِهِم لَيقُولُون * ولَد الله وإِنهم لَكَاذِبون * أَصطَفَى الْبنَاتِ علَى الْبنِين * ما لَكُم كَيفَ تَحكُمون﴾ [الصافات/149-154].

هذه مناقشات للقرشيين المشركين في مكة في عقائدهم حول إثبات التوحيد، ونفي الشرك، بدأت بعبارة الاستفتاء أي السؤال بمعنى التوبيخ والتقريع على أقوالهم المفتراة، والمخاطب بقوله ﴿ فَاستَفْتِهم﴾، النبي – صلى الله عليه وسلم- تكرار هذه الاستفهامات لتكرار التوبيخ والتكبيت والإنكار الشديد .[1]

وفي الآيات الكريمة يلاحظ تكرار مسألة اصطفاء الذكور على الإناث، "لقد كرر الإنكار على اصطفاء البنات من بين لوازم قولهم لشدة شناعته".[2]

وأما عن سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله : ﴿ ما لَكُم كَيفَ تَحكُمون﴾ للدلالة على اشتداد السخط الموجب لتوبيخهم شفاهاً.[3]

ومن سخافة عقولهم :أن الولد يحتاجه البشر لإعانتهم ومساعدتهم, أما الله عز وجل فلا يحتاج إليه، لأنه لا يموت، ثم أنهم هم الذين يقسمون ويجعلون لله عز وجل القسم الأدنى في نظرهم. والله عز وجل يقول: ﴿ لَو أَراد الله أَن يتخِذَ ولَداً لَاصطَفَى مِما يخْلُقُ ما يشَاء سبحانَه هو الله الْواحِد الْقَهار﴾ [الزمر/4].

فهو الذي يختار لا أنتم ولذلك يقول لهم النبي – صلى الله عليه وسلم – مؤدباً في عبوديته مع ربه ﴿ قُلْ إِن كَان لِلرحمن ولَد فَأَنَا أَولُ الْعابِدِين﴾ [الزخرف/81] يعني: إن كان للرحمن ولد اخبر هو سبحانه به، فأنا أول المؤمنين بوجوده.[4]

---

(1) انظر الزحيلي، وهبه، "التفسير الوسيط"، دار الفكر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1، 2001م، ج3، ص2189-2190.

(2) انظر الطباطبائي، السيد محمد، "الميزان في تفسير القرآن"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997م، ج17، ص173.

(3) انظر الطباطبائي، السيد محمد، "الميزان في تفسير القرآن"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 1997م، ج17، ص173.

(4) انظر الشعراوي، محمد متولي، " تفسير الشعراوي"، اخبار اليوم، ج21، ص12854.

وأصل قوله ﴿ أَصطَفَى﴾ بعد دخول همزة الاستفهام على همـزة الوصـل التي حذفت " أاصطفى" وهذا الاستفهام للتعجب والإنكار، ثم أعقب بقوله ﴿ ما لَكُم كَيفَ تَحكُمون﴾ أي بعقولكم فالأمر واضح، وفي الآيات استدراج لهم حتى يـأتي الحكم منهم على سبيل الإقرار، وحتى لا يكون الحكم خبراً من الله عز وجـل لأن الإقرار سيد الأدلة، وأما الخبر فيحتمل الصدق ويحتمل الكذب عقلاً، وأمـا كـلام ربنا جل وعلا فلا يأتيه الباطل من بن يديه ولا من خلفه، ثم بعد هذا الدليل العقلي الذي قد تختلف فيه العقول، طالبهم الله عز وجل بالدليل النقلي، وهو قوله تعالى ﴿ أَم لَكُم سلْطَان مبِين * فَأْتُوا بِكِتَابِكُم إِن كُنتُم صـادِقِين﴾ [الـصافات/156-157] نحتاج لحجة واضحة أو كتاب انزل من عند الله فيه ما تدعون. (1)

ونقف الآن مع موضع آخر يتدرج الله عز وجل فيه في الرد عليهم، لإثبات عجزهم، وكذبهم في زعمهم، وقوله تعالى ﴿ لَو أَراد الله أَن يتخِذَ ولَداً لاصـطَفَى مِما يخْلُقُ ما يشَاء سبحانَه هو الله الْواحِد الْقَهار﴾ [الزمر/4].

حتى يفهم المقصود من هذا السياق فهماً صحيحاً لا بـد أن نعـرف موضـوعات السورة، سورة الزمر سورة مكية، وأما موضوعاتها فمتعددة من أهم موضوعات السورة: إثبات تفرد الله عز وجل بالإلهية وإبطـال الـشرك، وإبطـال تعلـلات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم، ونفي ضرب من ضروب الإشراك وهو زعمهم أن لله ولد وغيرها . (2)

ومعنى الآية : لو كان الله متخذاً ولداً لاختار من مخلوقاته ما يشاء اختياره ولا يختار لبنوته حجارة كما زعمتم، لأن شأن الاختيار أن يتعلق بالأحـسن مـن الأشياء المختار منها، فبطل أن تكون اللات والعزى ومناة بنـات لله عـز وجـل

---

(1) انظر الشعراوي، محمـد متـولي، " تفـسير الـشعراوي"، اخبـار اليـوم، ج21، ص12856-12857

(2) انظر ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج32، ص312-ص313.

(ولو) هنا تسمى (لو الصهيبية) [1] التي شرطها مفروض فرضـاً علـى أقـصى احتمال والمقصود إبطال لما تضمنه. [2]

ما المقصود " بالاتخاذ " في قوله " أن يتخذ" المقصود بالاتخاذ هنا افتراض اتخـاذ الولد وليس التوالد، كقوله تعالى: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص/3] والـدليل أنـه أعقب بعد فعل الاتخاذ فعل الاصطفاء على طريقه مجاراة الخصم المخطئ ليغيـر خطئه . [3]

ثم نزه نفسه سبحانه وتعالى، فقال تعالى ﴿ سُبْحَانَهُ﴾ أي تنزيهاً له عن ذلك، عما لا يليق بطهارته " هو" الفاعل لهذه الفعال، " الله" أي الجامع : لجميع صفات الكمـال ﴿الْوَاحِدُ﴾ في ملكه الذي لا شريك له، ولا ولد ولا والد، ﴿الْقَهَّارُ﴾، الغالب الكامـل القدرة . [4]

فالمخاطبة في الآية الكريمة كانت على قدر عقولهم وعقائدهم حيث قالوا: المـسيح ابن الله، وعزير ولد الله، فقال: لو أراد للتبني والكرامة لاختار من الملائكة الذين هم منزهون عن الأكل والشرب وأوصاف الخلق. [5]

والآية في فرض المحال، وفرض المحال ليس بمحال، والوجه في إقناع إن اتخاذ الولد يستدعي بطبعه الحاجة والافتقار إليه، والله غني عن كل شيء، كما إن كـل

---

(1) مأخوذه من المثل المشهور، "نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعـصيه"، المـدح بنفي المعصية. انظر ابن هشام الأنصاري، (مغني اللبيب عـن كتـب الأعاريـب)، ص 339. والعاملي، (الكشكول)، ج1، ص 327.

(2) ابن عاشور، " التحرير والتنوير"، ج23، ص325.

(3) ابن عاشور، " التحرير والتنوير"، ج23، ص225.

(4) الشربيني، الخطيب، "السراج المنير"، علق عليه أحمد عزو عنايـة الدمـشقي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2004م، ج6، ص235.

(5) انظر القشيري، أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن، (ت 465هـ)، "تفسير القشيري المسمى لطـائف الاشـارات"، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط1، 2000م، ج3، ص112.

والد فهو موروث، وكل موروث فهو هالك، فكل والد هالك، فكيف يكون الله والداً سبحانه وتعالى لا شريك له، ولا كفؤ، ولا صاحبه، ولا ولد، ولا شيء إلا هو. (1)

وأما الموضوع الرابع وهو " سورة الزخرف" فيه بيان تدرج المشركين في دعواتهم وهي قوله تعالى ﴿ وجعلُوا لَه مِن عِبادِهِ جزءاً إِن الْإِنسان لَكفُور مبِين * أَمِ اتخَذَ مِما يخْلُقُ بنَاتٍ وأَصفَاكُم بِالْبنِين * وإِذَا بشر أَحدهم بِما ضرب لِلرحمن مثَلاً ظَلَّ وجهه مسوداً وهو كَظِيم * أَومن ينَشأُ فِي الْحِلْيةِ وهو فِي الْخِصامِ غَير مبِينٍ * وجعلُوا الْملَائِكَةَ الَّذِين هم عِباد الرحمن إِنَاثاً أَشَهِدوا خَلْقَهم ستُكْتَب شَهادتُهم ويسأَلُون ﴾ [الزخرف/15-19].

في هذه الآيات الكريمة في سورة الزخرف مزيد من التفصيل في هذه المسألة وهو بيان حالهم إذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً . وما يسحر به من الجن وبيان طبيعة البنات من ضعف طبعهن ، وعدم القدرة من الدفاع عن أنفسهن وقال تعالى ﴿ وجعلُوا لَه مِن عِبادِهِ جزءاً ...﴾ [الزخرف/15] يقول الفخر الرازي:" وأعلم أنه لو قال وجعلوا لعباده منه ، أفاد ذلك أنهم أثبتوا أنه حصل جزء من أجزائه في بعض عباده وذلك هو الولد ، فكذا قوله ﴿ وجعلُوا لَه مِن عِبادِهِ جزءاً ﴾ وجعلوا له من عباده جزءاً" معناه واثبتوا له جزءاً ، وذلك لجزء هو عبد من عباده، والحاصل أنهم أثبتوا لله ولداً" . (2)

وأما مناسبة قوله تعالى ﴿ أَمِ اتخَذَ مِما يخْلُقُ بنَاتٍ وأَصفَاكُم بِالْبنِين﴾ فالله عز وجل رتب هذه الناظرة على أحسن الوجوه، وذلك لأنه تعالى بين أن إثبات الولد لله محال، وبتقدير أن يثبت الولد فجعله بنتاً أيضاً لا محال ، فلأن الولد لا بد وأن يكون جزءاً من الوالد . (3)

ثم بين بعد ذلك حال الإنسان منهم إذا بشر بالأنثى، واستخدم الفعل ﴿ ظَلَّ﴾ الفعل الناقص، لنقصان عقله وفكره بإضافة الولد إلى الله عز وجل .

---

(1) مغنيه، محمد جواد، " التفسير الكاشف"، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981، ج6، ص394.

(2) الرازي، الفخر، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، ج27، ص202.

(3) الرازي، الفخر، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، ج27، ص202.

والباحث لا يوافق الأمام الفخر الرازي على ما ذهب إليه في هذه الآيات الكريمـة من إثبات نقصان البنات مستدلاً عليه بوجوه منها: بقاء الإنسان منهم كظيم مـسود الوجه عند تبشيره بالأنثى، ثم قوله تعالى ﴿ أَومن ينَشأُ فِي الْحِلْيةِ﴾ قال: "التنبيـه على نقصانها، وهو أن الذي يربي في الحلية يكون ناقص الذات؛ لأنه لولا نقصان في ذاتها لما احتاجت إلى تزيين بالحلية، ثم بين نقصانها من جهة ثالثة وهي قوله ﴿ وهو فِي الْخِصامِ غَير مبِينٍ ﴾ أي أنها إذا احتاجت المخاصمة والمنازعة عجزت وكانت غير مبين، وذاك لضعف لسانها وقلة عقلها وبلادة طبعها" .[1]

والباحث يرد على هذا الأمر من عدة وجوه : أولها : حكم الأمـام الفخـر الرازي لعله كان في عصره وواقعة ، من قلة تعليم النساء أو نحو ذلك دفعة لهذا . وإلا فالمرأة اليوم (في العصر الحديث) أخذت معظم المواقع ،التي تحتـاج إلـى رأي وفكر وقوة شخصية إلى غير ذلك .

والوجه الثاني: قوله أن الذي يربي يكون ناقص الذات ، لأنه لولا نقصان من ذاتها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية ، هذا يرد عليه قوله تعالى ﴿ يا بنِي آدم خُذُواْ زِينَتَكُم عِند كُلِ مسجِدٍ وكُلُواْ واشْربواْ ولاَ تُـسرِفُواْ إِنـه لاَ يحِـب الْمـسرِفِين﴾ [الأعراف/31] فهل الحاجة إلى الزينة واستعمالها يكون لنقص؟! حـث النبـي – صلى الله عليه وسلم – على الزينة ولباس الحسن من النعال والثياب فالله عز وجل جميل يحب الجمال . كما أن الزينة قد لازمت المرأة بالفطرة لقوله تعالى ﴿ وقُـل للْمؤْمِنَاتِ يغْضضن مِن أَبصارِهِن ويحفَظْن فُروجهن ولَا يبدِين زِينَتَهن إِلَّا ما ظَهر مِنْها﴾ [النور/31].

وأجاد ابن عاشور في هذه الآية وقال :" والنشء في الحيلة كناية عن الضعف عن مزاولة الصعاب بحسب الملازمة العرفية فيه، والمعنى : أن لا فائدة في اتخاذ الله بنات لا غناء لهن فلا يحصل له باتخاذها زيادة غيرة ، بناء على متعارفهم، فهـذا احتجاج إقناعي خطابي " .[2]

وأما بالنسبة للعجز في حالة الخصام فيقول _ إبن عاشور_ :" أنهن غيـر قـواد، على الانتصار بالقول فبالأولى لا يقدرن على ما هو أشد في ذلك في الحرب، أي

---

(1) الرازي، الفخر، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، ج27، ص202-203.

(2) ابن عاشور،" التحرير والتنوير"، ج25، ص181.

فلا جدوى لأتخاذهن أولاداً، كما جوز أن يكون الخصام على التقاتل والدفاع باليد مستدلاً بقوله تعالى ﴿ هذَانِ خَصمانِ اخْتَصموا فِي ربهم فَالذِين كفَروا قُطعتْ لَهم ثِياب من نارٍ يصب مِن فَوقِ رؤُوسِهِم الْحمِيم﴾ [الحج/19] وقال بأنهم نفر من المسلمين مع نفر من المشركين تقاتلوا يوم بدر " .[1]

وأما الشعراوي فلم يجعل هذه قاعدة عامة في جنس النساء كله وساق أمثلة على ذلك بموقف أم سلمه يوم الحديبية، وملكة سبأ التي قص القرآن الكريم قصتها مع سيدنا سليمان عليه السلام .[2] والحاصل من الآيات الكريمة في سورة الزخرف أنهم قد جمعوا في كفرهم أنواعاً من الكفر ، وذلك أنهم نسبوا إلى الله الولد، ونسبوا إليه ما يعتبرونه أقل النوعين الذكر والأنثى فأقاموه في أنفسهم المقام الأدنى، وارتضوا له ما لا يرتضون لأنفسهم ، وجعلوهم من الملائكة المكرمين ، فاستخفوا بهم إذ جعلوهم إناثا .[4]

الفصل الرابع
اصطفاء غير الأنبياء

تمهيد:

تحدثنا عن اصطفاء الأنبياء والرسل، والآيات التي خصتهم بلفظ الاصطفاء، ولكن الناظر في القرآن الكريم يجد أن هناك أيضاً العديد من الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الاصطفاء، وهي بحق غير الأنبياء، فكان من الواجب من باب استكمال، واستيعاب معنى لفظ الاصطفاء في هذه المواضع.

لذلك كان لابد من إفراد فصل للحديث عن هؤلاء المصطفين من غير الأنبياء، بعنوان" اصطفاء غير الأنبياء" وفيه الحديث عن مسائل في الاصطفاء، ودلالات هذا الاصطفاء، كاصطفاء الملائكة واصطفاء المؤمنين، واصطفاء مريم،

---

(1) ابن عاشور،" التحرير والتنوير"، ج25، ص181.

(2) انظر الشعراوي، "تفسير الشعراوي"، ج22، ص13865-13875.

(4) حوى، سعيد، "الاساس في التفسير"، ج9، ص5128.

واصطفاء طالوت، واصطفاء الدين، واصطفاء اللغة العربية، ومن خلال النظر في مواضع الاصطفاء السابقة الذكر نجد أن الاصطفاء في كل موضع يختلف عنه في الموضع الأخر، من حيث سبب الاصطفاء، وماهية الاصطفاء، ونتيجة الاصطفاء.

وأما ترتيب الموضوعات في هذا الفصل فهي اجتهادية، فبدأت باصـطفاء الملائكة باعتبارها رسل الله للمؤمنين، بهذا الدين، باللغة المصطفاة، ثم اصـطفاء المؤمنين، لأنهم أهل الخطاب، ثم اصطفاء الدين ثم اصطفاء اللغة ثـم اصـطفاء مريم –عليها السلام- باعتبارها من جنس النساء ، وبيان المقـصود باصـطفائها ودحض الشبه المتوالدة من ذلك، ثم اصطفاء طالوت، فـالله الميـسر – سـبحانه وتعالى- عليه أتوكل وبه استعين.

1.4 اصطفاء الملائكة، ودلالة ذلك

إن من الآيات الدالة على اصطفاء الملائكة قوله تعالى : ﴿الله يصطَفِي مِن الْملَائِكَةِ رسلاً ومِن الناسِ إن الله سمِيع بصِير﴾ [الحج / 75].

ذكر الأستاذ ابن عاشور – رحمه الله – في المناسبة بين هذه الآية وسابقتها قوله: "لما نفت الآيات السابقة أن يكون للأصنام التي يعبدها المشركون مزية فـي نصرهم بقوله تعالى ﴿وما لِلظالِمِين مِن نصِيرٍ﴾ [الحـج / 71] وقولـه تعـالى: ﴿ ضعفَ الطالِب والْمطْلُوب﴾ ونعى على المشركين تكـذيبهم الرسـول ـ عليـه الصلاة والسلام ـ من دواعي هذا التكذيب أنهم أحالوا أن يأتيهم رسول من البشر ﴿ وقَالُواْ لَولا أُنزِلَ علَيهِ ملَك﴾ أي يصاحبه، ﴿ وقَالَ الَذِين لَا يرجون لِقَاءنَا لَولَـا أُنزِلَ علَينَا الْملَائِكَةُ أَو نَرى ربنَا﴾ أعقب إبطال أقوالهم بأن الله يصطفي من شـاء اصطفاءه من الملائكة، ومن الناس دون الحجارة وانه يصطفيهم ليرسـلهم إلـى الناس، أي لا ليكونوا شركاء، فلا جرم أبطل جميع مزاعمهم في أصنامهم". (1)

وذكر الإمام الفخر الرازي حول هذه الآية سؤال وهو: أن "من" هنا بمعنى التبعيض ـ فيحمل قوله تعالى ﴿ {الله يصطَفِي مِن الْملَائِكَةِ رسلاً﴾ أن يكون بعض الملائكة رسل لا كلهم، وقوله تعالى﴿ جاعِلِ الْملَائِكَةِ رسلاً﴾ [فاطر / 1] يقتـضي كونهم كلهم رسلاً فوقع التناقض؟ فقال الجواب: جاز أن يكون المذكور هاهنا مـن

---

(1) انظر ابن عاشور، التحرير والتنوير"، ج 17، ص343.

كان رسلاً لبني آدم، وهم أكابر الملائكة كجبريل وميكائيل وإسـرافيل وغيـرهم، وأما كل الملائكة بقوله ﴿ جاعِل الْمَلَائِكَةِ رسلاً﴾ فبعضهم رسل إلى البعض فـزال التناقض". [1]

حمل الإمام الفخر الرازي الآية الثانية في قوله تعالى ﴿ جاعِـل الْمَلَائِكَـةِ رسلاً﴾ على الآية الأولى وهي قوله ﴿ جاعِل الْمَلَائِكَةِ رسلاً﴾ واعتبر "مـن" هنـا تبعيضه، فلماذا لا تكون "من" لبيان الجنس، أي رسلاً من جنس الملائكة، ورسـلاً من جنس الناس وعندها تحمل هذه الآية على الآية الثانية وهي ﴿ جاعِل الْمَلَائِكَـةِ رسلاً﴾ ناهيك على ذكر أوصاف هؤلاء الرسل وصفاتهم في الأية الثانيـة بـأنهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع، فضلاً على أن مهام الرسل، متفاوتة فيما بيـنهم (أي رسل الملائكة) فمنهم رسل للعذاب، ومنهم رسل للرسالات، ومـنهم رسـل للبشرى وغير ذلك.

ورب سائل يسأل: لماذا قدم رسل الملائكة على رسل البشر؟!

يقول الأمام الألوسي: "وتقديم رسل الملائكة - علـيهم الـسلام - لأنهـم وسائط بينه تعالى وبين رسل الناس" [2]. فهذه الآية لا دلالة فيهـا علـى تفـضيل الملائكة على البشر، وإنما هي رداً على المشركين الذين تعجبوا أن يبعـث مـن البشر رسلاً، وإلا فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلـق علـى الإطـلاق والـذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلاً بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئاً دون شيء، وإنمـا المصطفى لهم، السميع البصير، الذي أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم، على علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال الله تعالى: ﴿اللَّه أَعلَم حيثُ يجعلُ رِسالَتَه﴾ [الأنعام / 124]. [3]

2.4 اصطفاء المؤمنين، دلالة ذلك.

---

(1) انظر الفخرالرازي، التفسيرالكبير ومفاتيح الغيب"، ج23،ص70-71.

(2) الآلوسي، (روح المعاني في تيسير القرآ ن العظيم والسبع المثاني) دار احياء التراث العربي(د،ط،ت)ج17، ص207.

(3) السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، (ت1376هـ)، (تيسير الكريم الرحمن فـي تفـسير كلام المنان) مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، ص546.

بعد ذكر اصطفاء الملائكة، ناسب أن نذكر اصطفاء الله للبشر لننظر فـي سورة النمل وقوله تعالى ﴿ قُلِ الْحَمدُ لِلهِ وسلَام علَى عِبادِهِ الَذِين اصطَفَى آللَه خَير أَما يشْرِكُون﴾ [النمل / 59].

أما عن مناسبة الآيات لما قبلها: فبعد أن تم بهذه القصص استنتاج مـا أراد سبحانه من الدليل على حكمته وعلمه وما ينته للأصنام في قدرته وحلمه أمر نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأن يحمده شكراً على ماعلم ويقررهم بعجز أصـنامهم رداً لهم عن الجهل بأوضح طريق...) (1)

وفي هذه الآية الكريمة عدد من المسائل:

أولها: من المخاطب بقوله ﴿ قُل ﴾ ؟

يرى أكثر المفسرين، وعلى رأسهم شيخ المفسرين ابن جرير الطبـري:"أن المخاطب بقوله" قل" في الآية الكريمة هو نبينا محمد صلى الله علية وسلم، فقال: " في تأويل هذه الآية، ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ـ ﴿ قُل﴾ يـا محمـد ﴿ قُلِ الْحَمدُ لِلهِ﴾ على نعمه علينا، وتوفيقه إيانا كما وفقنا من الهداية، ﴿ وسـلَام﴾ يقول: وأمنه منه من عقابه الذي عاقب به قوم لوط..." (2)

وقال الفراء: الأمر بالقول في هذه الآية للوط ـ عليه السلام." (3) وثانيها: من هم عباده ـ المقصودين ـ في الآية؟

وفي هذه المسألة أيضاً أكثر من قول: القول الأول: قال أن المقصود فيهـا هم أصحاب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد ذكر السيوطي فيما أخرجه عـن أبن ابي شيبه وعبد بن حميد والبزار، وغيرهم عن ابن عباس في قولـه ﴿وسـلَام

---

(1) انظر البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، مكتبة ابن تيميـة، القـاهرة ، ط1، 1979م جـ14، ص 184.

(2) انظر الطبري، محمد بن جرير، (ت 310هـ)، " جامع البيان في تأويل القرآن" دار الفكر للنشر ،(د،ط) ،1984،ج2، ص2.

(3) انظر أبن عطية، أبو محمد عبدالحق، " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيـز"، دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط1، 1993م،جـ4 ، ص266 ، وذكره الفـراء، ابـي زكريا، ت(207هـ) في " معاني القرآن" تحقيق الاستاذ محمد علي النجـار، الـدار المصرية، للتأليف، (د، ط، ت)، ج2، ص297.

علَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾." قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، إصطفاهم الله لنبيه.

وخرج أيضاً عن عبد بن حميد وابن جرير عن سفيان الثوري في نفس الآية قال: " نزلت في أصحاب محمد خاصة".[1]

وأما الرأي الثاني: فيرى أن المقصود بعباده الذين أصطفى هم الرسل والانبياء، وممن ذكروا هذا القول ابن كثير فيقول:" يقول تعالى آمراً رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يقول: ﴿الْحمد ِللهِ﴾ [النمل / 59] أي على نعمه على عباده، من النعم التي لا تعد، ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى...، وأن يسلم على عبادة الله الذين اصطفاهم وأختارهم، وهم رسله وأنبياءه"[2]

ثم حاول الجمع بين هذا القول والسابق، بأنهم إن كانوا من عباد الله الذين أصطفى، فالأنبياء بطريق الأولى والأحرى.[3]

وأما الرأي الثالث: فيرى الآية عامة يدخل تحتها كل من أصطفى الله من الملائكة والرسل، والناس، والصحابة، والصالحين، ممن ذهبوا لهذا الرأي ابن جزي المالكي في التسهيل، فقال" قال ابن عباس: يعني بعباده الذين أصطفى الصحابة، واللفظ يعم الملائكة والأنبياء والصحابة والصالحين"[4]

وقال الزمخشري" أمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوا هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وحكمته أن يستفتح

---

(1) انظر السيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (ت 911هـ)" الدر المنثور في التأويل بالمأثور" دار الكتب العلمية، ط1، 1990م، جـ5،ص211، وفي الحديث الاول (ضعف)، فيه الحكم بن ظهير، وهو متروك.

(2) انظر ابن كثير، أبي الفداء أسماعيل بن عمر (ت774هـ)، " تفسير القرآن العظيم" تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط1، 2009م، ج6، ص202.

(3) انظر ابن كثير، أبي الفداء أسماعيل بن عمر (ت774هـ)، " تفسير القرآن العظيم" تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط1، 2009م، ج6، ص202.

(4) أبن جزي، أحمد بن محمد الغرناطي (ت، 741هـ)، " التسهيل لعلوم التنزيل" أعتنى به، ونقحه الدكتور عبدالله الخالدي، دار الارقم للنشر، (د، ط، ت)، ج2، ص105.

تحميده والسلام على أنبيائه والمصطفين من عباده"[1] فنرى أن الزمخـشري هنـا جمع بين الأقوال السابقة وجعل الآية عامة للأنبياء والمصطفين من عباده.

والحمد في هذه الآية، كان حمداً على الشر الذي حل بالأشرار، فالله عـز وجل، كما يأمرنا بالحمد على النعم أيضاً يأمر بالحمد على الشر الواقع بالأشـرار كما في هذه الآية الكريمة، فهذه الآية الكريمة موجهة الخطاب فيها لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها إشارة إلى أن جند الله هم الغالبون، وفيهـا تطهيـر للكون من المفسدين فيه وحين تستريح منهم البلاد والعباد، فهذه نعمـة تـستوجب حمد الله، وأما عباده الذين أصطفى في هذا الموضع فهم المؤمنون الذين نـصرهم الله، وجعل العاقبة لهم، والسلام عليهم بعدما لا قوه من عنت الكافرين وعنادهم.[2]

ومن الأحكام الهامة في هذه الآية الكريمة، حمد الله في الخطب، فقد توارث العلماء والخطباء والوعاظ، هذا الأدب كابراً عن كابر، حمدوا الله وصـلوا علـى رسول الله، وعلى التابعين بإحسان من المصطفين، وهذا فيه تعليم حسن.[3]

3.4 اصطفاء الدين، ودلالته وذلك

بعد أن ذكرت اصطفاء الملائكـة (رسـل الله بالرسـالات والتوجيهـات الربانية) وذكر الطرف المرسل إليه (سواء كان المقـصود الأنبيـاء أم عمـوم المؤمنين) كان لا بد من ذكر الرسالة المصطفاة (كلام الله عز وجل) ودينه الذي ارتضاه للبشرية فقد ورد اصطفاء الدين في قوله تعالى ﴿ووصى بِها إِبراهِيم بنِيهِ ويعقُوب يا بنِي إِن اللّه اصطَفَى لَكُم الـدين فَـلا تَمـوتُن إَلا وأَنـتُم مـسلِمون﴾ [البقرة / 132].

---

(1) انظر الزمخشري، ابي القاسم، جار الله محمود بن عمر الزمخشري،" الكشاف عـن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل"، دار المعرفة للنشر، بيـروت، (د، ط، ت)، ج3، ص148.

(2) انظر الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي"، اخبار اليوم، (د، ط، ت)، ج17، من ص10807-10809.

(3) انظر القاسمي، محمد جمال الدين(ت1914م)" محاسن التأويل" اعتنى به محمد فـؤاد عبدالباقي دار الفكر، بيروت، ط2، 1978م، مجلد (8)، ج13، ص75- 76.

إن هذه الآية تتفق مع قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى / 13].

الخطاب في قوله ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ لأمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم- لما قال الله تعالى عز وجل ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً﴾ [الشورى / 7]، ذكر في هذه الآية تفصيل ذلك، وهو ما شرعه له ولهم من الاتفاق على عبادته وحده لا شريك له، وتخصيص هؤلاء الأنبياء بالذكر، لأنهم أولو العزم - عليهم السلام - ولأنهم أكابر الأنبياء وأصحاب الشرائع والأتباع الكثيرة، وسبب البدء بنوح - عليه السلام - لأنه أول الرسل، والتعبير بالوصية لهم دون الوحي، واقتصار الوحي لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - بالذكر، للإشارة إلى أن شريعته - صلى الله عليه وسلم - هي الشريعة الكاملة... (1)

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم - لهذا الأمر (وهو اشتراك الأنبياء جميعاً في رسالة التوحيد فقال - صلى الله عليه وسلم - من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(2)

فالأنبياء جميعاً - صلوات الله عليهم وسلامه - جاءوا بتبليغ لا إله إلا الله وحده لا شريك له على وجه هذه الأرض، والمختلف بينهم في الشرائع والتعاليم الدينية.

وقد جاء التعريف "للدين" للجنس، وهو يعم الأديان السابقة جميعاً، والمقصود بهذا الدين هو المماثلة في أصول الدين مما يجب لله تعالى من الصفات، وفي أصول الشريعة من كليات التشريع، وأعظمها توحيد الله، ثم مابعده من

---

(1) انظر القاسمي، محمد جمال الدين، " محاسن التاويل" تعليق واعتناء محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر - بيروت، ط2، 1978م، مجلد(8)، ج14، ص299- 300.

(2) أخرجه البخاري، كتاب احاديث الأنبياء، باب" وأذكر في الكتاب مريم"، حديث (3443) من حديث أبي هريرة.

الضروريات الخمس، ثم الحاجيات التي لا يستقيم نظام البشر بـدونها، فـإن مـا اشتملت عليه الأديان المذكورة من هذا النوع قد أودع مثله في دين الإسلام. (1)

أما بقية أحكام الدين من الشرائع، والأحكام الفقهية، فهذا ما تختلـف فيـه الشرائع عن بعضها البعض فمثلاً الصيام في شريعتنا امتناع عن الطعام والشراب والشهوة من طلوع الفجر لغروب الشمس، لكن الصيام كان في بعـض الـشرائع السابقة إمساك عن الكلام، فقال سبحانه وتعالى ﴿فَقُولِي إِنِي نَذَرتُ لِلرحمن صوماً فَلَن أُكَلم الْيوم إِنسِياً﴾ [مريم / 26]وهذا الاختلاف في الشرائع هو المقصود فـي قوله تعالى﴿لِكُل جعلْنَا مِنكُم شِرعةً ومِنْهاجاً﴾ [المائدة / 48].

ومادة شَرع وشرع وشريعة يعني واضحة، والإنسان فيه جانبـان المـادة والروح، فكما أن الحق سبحانه ضمن له بقاء حياة المادة بالماء والطعام والهـواء، كذلك جعل له حياة لروحه بالقيم والأخلاق، والملاحظ في الآية الكريمـة، أن الله عز وجل استخدام (ما) الموصولة مع نوح عليه السلام ـ ثم كررها مع إبـراهيم وموسى وعيسى ولكن في منتصف السياق قال" والذي "وكان يستطيع أن يـستخدم (ما) الموصولة التي هي بمعنى (الذي) بدلاً من (ما) لشرفه ومكانته، ثم في بداية الآية قال (وحي) بالمفرد وعند الحديث عن الوحي لسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال "أوحينا" فاستخدام نون العظمة وهذه دلالة على مكانته. (2)

ولكن في الآية التفات من الغيبة إلى الخطاب منها ما لـم يـذكره الـشيخ الشعراوي ـ رحمه الله ـ وهو سبب الالتفات في قوله ﴿ما وصـى بِـهِ نُوحـاً﴾ بأسلوب الغيبة، ومع سيدنا محمد والباقين أسلوب الخطاب ﴿والذِي َأوحينَا ِإلَيـك﴾، ﴿ما وصينَا بِهِ إِبراهِيم﴾ ذكر المسألة الإمام الفخر الرازي(3) ولكنه لم يعلق عليها، ولم يذكر السبب في ذلك والسبب من وجهة نظر الباحث: هو البعد الزماني مـن جهة كون شريعة نوح قديمة فأراد الحق سبحانه أن يبين لنا أن ما وصى به نوحاً

---

(1) انظر أبن عاشور، التحرير والتنوير، ج25، ص50.

(2) انظر الشعراوي، محمد متولي، " تفسير الشعراوي، اخبار اليوم، ج22، ص13726 وما بعدها.

(3) انظرالفخرالرازي، "التفسير الكبير ومفاتيح الغيب"، ج27، ص157" وقـال: وهـو مشكل، فهذه المضايق يجب البحث عنها والقوم ما داروا حولها.

من عبادته هو ما جاءت به شرائع من بعده من الرسل والأنبياء الكرام، هذه مـن جهة، واعتناء بمكانة المذكورين، وفي الآية بعده إعتناء خاص من جهة أخرى - والله أعلم.

4.4 اصطفاء اللغة العربية، ودلالة ذلك:

إن اختيار الله عز وجل للغة العربية لتكون اللغة التي تخاطب الناس في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة، دلالة صريحة على أهمية هذه اللغة، والسؤال هنـا: هل اختيار اللغة العربية كان لأن المخاطبين به وقت نزوله هم العرب أم أن هـذا الاختيار كان اصطفاء من الله عز وجل للغة العربية؟

للجواب عن هذا التساؤل لابد أن نرى كم وصف القرآن الكريم بوصـف العربية. لقد وصف القرآن الكريم بوصف العربية في أحد عشر موضعاً وهي:

1. قوله تعالى ﴿ {إنا أنزلْنَاه قُرآناً عربِياً﴾ [يوسف / 2].
2. قوله تعالى ﴿وكذَلِك أنزلْنَاه حكْماً عربِياً﴾ [الرعد / 37].
3. وقوله تعالى﴿ وهـذَا لِسان عربِي مبِين﴾ [النحل / 103].
4. وقوله تعالى ﴿وكذَلِك أنزلْنَاه قُرآناً عربِياً﴾ [طه / 113].
5. وقوله تعالى ﴿بِلسانٍ عربِي مبِينٍ﴾ [الشعراء / 195]
6. وقوله تعالى ﴿قُرآناً عربِياً غَير ذِي عِوجٍ لعلهم يتقُون﴾ [الزمر / 28].
7. وقوله تعالى ﴿ كِتَاب فُصلَتْ آياتُه قُرآناً عربِياً لقَومٍ يعلَمون﴾ [فصلت / 3].
8. وقوله تعالى ﴿ولَو جعلْنَاه قُرآناً أعجمِياً لقَالُوا لَولَا فُصلَتْ آياتُه أأعجمِي وعربِي﴾ [فصلت / 44].
9. وقوله تعالى ﴿وكذَلِك أوحينَا إِلَيك قُرآناً عربِياً﴾ [الشورى / 7].
10. وقوله تعالى ﴿إنا جعلْنَاه قُرآناً عربِياً لعلكُم تَعقِلُون﴾ [الزخرف / 3].
11. وقوله تعالى ﴿وهذَا كِتَاب مصدقٌ لساناً عربِياً﴾ [الأحقاف / 12]. (1)

ولو نظرنا لهذه المواضع لوجدناها جميعها مكية النزول، باستثناء سورة الرعد، كم يلاحظ أيضاً أن هذه المواضع وصفت تارة باللسان العربي وتـارة بـالقرآن

---

(1) انظر الزين محمد بسام، "المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم"، دار الفكر للنشر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1995م، ج2، ص927.

العربي، عدا سورة الرعد أيضاً وصفت بالحكم العربـي، إن وصـفه بـالحكم والعربية في سورة الرعد، ليجمع بين المبنى والمعنى، فالحكم هو بالمعنى، كمـا يعني أن القرآن في حد ذاته هو حكم، فالقاضي الذي يحكم بتمام العـدل تقـول عنه: قاضي عدل، أي: كان العدل قد تجسد في القاضي، وكذلك هنا قـال عنـه حكم، لأن القرآن الكريم هو الحكم العدل، ونجد أن القرآن الكريم حفظ لنا اللغـة العربية، حيث انك تجد أن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إذا قـرأ أيٌ منهم القرآن فهمته كأنه عربي نشأ في بيئة عربية، وهذا يشاهد من طلبة ماليزيا واندونيسيا وغيرها من الأقطار أن لغة التواصل والتفاهم بين المـسلمين، هـي اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم، بينما تجد غيرها من اللغات قد تشعبت إلى لهجات، ثم بعد ذلك أصبحت كل لهجة لغة مستقلة، ألا تـرى الـى اللغـة الانجليزية مثلاً تجد أن بريطانيا لها لهجتها الانجليزية المستقلة عن الولايـات المتحدة الأمريكية، وأما تفاهم المسلمين بينهم من اللهجات المتعارف عليها اليوم، فهذا قد يكون صعباً أحياناً فأبناء المشرق العربي يصعب عليهم كثيراً أن يفهموا إخوانهم من الشمال الأفريقي مثلاً، كالمغرب وتونس والجزائر[1]، ولكن عنـدما يكون الخطاب باللغة العربية المصطفاة (عنصر الوحدة) بين المـسلمين علـى وجه الأرض يدال على اصطفاء الله عز وجل لهذه اللغة واختياره لهـا، فاللغـة العربية باقية ما بقى القرآن الكريم بين الناس، وكون الله عز وجل تكفل بحفظـه فقال "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" (الحجر:9) فهذا حفظ ضمني للغـة العربية من الاندثار، حتى ولو تشعبت اللهجات، ودخلت المدنية المصطنعة إلـى الأجيال المعاصرة، لكنه عند قراءة القرآن لا يستطيع إلا أن يقرآه كمـا أنـزل، وهي اللغة العربية الفصحى، ومن خالف فقد وقع في اللحن.

كما أن هذه المواضع العديدة تشد أنظار المسلمين إلى أمر مهم وهو تعلـم اللغة العربية، والمحافظة عليها، فهي لغة عظيمة جليلة، وقد أجاد حافظ إبراهيم في قصيدته على لسان اللغة العربية حين قال :

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية

---

(1) انظر الشعراوي، محمد متولي، "تفسير الشعراوي"، أخبار اليـوم (د، ط، ت)، ج12، من ص(7377-7380)

وما ضقت عن أي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة

وتنسيق أسماء المخترعات

أنا البحر في أحشاءه الدر كامن

فهل سألوا الغواص عن صدفاتي [(1)]

وهذه دعوى لأبناء المسلمين أن يكون الترابط بين علومهم باللغة العربية، فإننا نجد اليوم مثلاً الطبيب، والكليات العلمية في الجامعات تعتمـد كثيـراً علـى اللغـات الأخرى، وتهمل اللغة العربية، ولا يعني هذا أن نقلل من قيمة اللغات الأخرى فقد ندب النبي صلى الله عليه وسلم، لزيد بن ثابت تعلم لغة اليهود، ولكن المقصود هو أن نفعل دور اللغة العربية، فخزانة العربية مليئة بالمفردات، وقـد ألـف علمـاء المسلمين القدماء في الطب، والهندسة، والكيمياء، والرياضيات وغيرها من العلوم، ولكن اللغة العربية كانت تسع هذه المؤلفات وما يستجد من مفردات.

5.4 اصطفاء مريم ـ عليها السلام، ودلالة ذلك:

يقول الله سبحانه وتعالى ﴿ وإِذْ قَالَتِ الْملاَئِكَةُ يا مريم إِن اللّه اصطَفَاكِ وطَهـرك واصطَفَاكِ علَى نِساء الْعالَمِين﴾ [آل عمران / 42].

في هذه الآيات الكريمة عدد من المسائل سأعرض لها وأبين كلام العلماء فيها:

1. المسألة الأولى: اسم مريم ـ عليها السلام- هل هو عربي أم لا؟ يقول ابن عاشور: "مريم علم عبراني، وهو في العبرانية بكسر الميم، وهو إسم قديم سميت به أخت موسى عليه السلام"[(2)] والعرب يطلقون اسم مـريم علـى المرأة المترجلة التي تكثر مجالسة الرجال. [(3)] وقال صاحب الكشاف: "مريم

---

(1) ديوان" حافظ إبراهيم"، ضبط احمـد أمـين وأحمـد الـزين، دار العـودة للنـشر ـ بيروت(د،ط،ت)، قصيدة طويلة له بعنوان" اللغة العربية تنعى حظهـا بـين أهلهـا" نشرت سنة 1903م، تقع في ثلاثة وعشرين بيتاً.

(2) ذكره إبن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص243.

(3) ذكره إبن عاشور، المصدر نفسه، ص244.

في العبرانية ـ بمعنى العابدة". والملاحظ على كلام ابن عاشور أنه جعلهـا أخت لموسى ـ عليه السلام ـ بالمعنى المجازي تشبيهاً لها به فقد تـوهم الكثيرون من قوله تعالى ﴿ {يا أُخْتَ هارون ﴾ [مريم / 28] أن المقـصود هو هارون النبي، ولم ينظروا إلى الزمن البعيد بين زمـن موسـى عليـه السلام وزمن عيسى عليه السلام، فلعل المقصود من ذلك هـارون آخـر مشابه لاسم هارون ـ عليه السلام ـ فيه من الصلاح والخير ما فيـه، أو أن المقصود تشبيهاً لها بالصالحين كهارون عليه السلام ـ كونها عابدةً لله قانتة. (1)

2. المسألة الثانية: ما دلالة التكرار في الأية:

تكرار فعل" اصطفاك" لأن الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي، وهو جعلها منزهه زكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير. (2)

الاصطفاء الأول هو الاختيار للصفات الموجودة فيها من كثرة عبادتها وغيرهـا، أما الاصطفاء الثاني بما سيكرمها الله عز وجل ـ به من رزقها عيسى من غيـر أب، ولم يكن ذلك لأحد من النساء، ثم إن الملائكة أمروها بكثرة العبادة، والخشوع والركوع[3] إذن فالاصطفاء الثاني يختلف عن الأول، ثم جعل بـين الاصـطفائين الطهارة فقال " وطهرك" دليل على أن الاصطفاء الثاني غير الأول، وطهرك مما يستقذر من الأفعال، والأحوال، والأقوال، والأكـدار، والهـواجس، والوسـاوس وغيرها...(4)

---

(1) انظر مثلاً، ابن جزي الغرناطي(ت741هـ)،" التسهيل لعلوم التنزيـل"، تحقيـق د. عبدالله الخالدي، نشر دار الأرقم(د، ط، ت)، ج1، ص480.

(2) انظر مثلاً، ابن جزي الغرناطي(ت741هـ)،" التسهيل لعلوم التنزيـل"، تحقيـق د. عبدالله الخالدي، نشر دار الأرقم(د، ط، ت)، ج3/ ص244.

(3) انظر حوى، سعيد، " الأساس في التفسير"، دار السلام للنشر، حلـب، ط1، 1985م، ج2، ص765.

(4) المراغي، احمد مصطفى، "تفسير المراغي"، دار احياء التـراث العربـي، بيـروت، (د،ط، ت)، ج2، ص765.

وأما المراغي فيعتبر الاصطفاء الأول يعم التطهير الحسي، كعدم الحيض والنفاس وبذلك كانت أهلاً لملازمة المحراب، وهو أشرف مكان في المعبد...، وأما الاصطفاء الثاني بما اختصت به من ولادة نبي من غير أن يمسها رجل، وهو اصطفاء لم يكن قد تحقق بالفعل بل هي مهيأة ومعدة له، وفيه شهادة ببراءتها مما قذفها به اليهود"[1]

ويرى الباحث أن ما ذكره المراغي بشأن الاصطفاء الأول قد يكون صحيحاً، لا سيما أن الله عز وجل عطف على هذا الاصطفاء بالطهارة مما يدل على ملازمة هذا الاصطفاء للطهارة، ولا يكون إلا بما ذكر الأستاذ المراغي.

وأما الشيخ الشعراوي، فلم يقل أن المقصود من إعادة لفظ الاصطفاء التكرار، إنما بينما بفروق منها:

1. في الاصطفاء الأول لم يقل"على".
2. في الاصطفاء الثاني قال" على نساء العالمين".

فدل على أن الاصطفاء المقترن بـ"على" لا يمنع دخول غيره معه في هذا الاصطفاء، أما الاصطفاء الثاني فقرنه ب"على" وقال " على نساء العالمين" ليخرج الرجال عن دائرة هذا الاصطفاء، والمقصود أنه لا توجد أنثى في العالمين تشاركها في هذا، وهو أنها الوحيدة التي ستلد من دون ذكر. [2]

المسألة الثالثه: تفضيل مريم لنساء عصرها أم لنساء العالمين؟

تعددت آراء المفسرين في هذه المسألة، بين مقدم لها على الإطلاق كما رجح الأستاذ إسحاق أبو صعليك في رسالته[3]، وبين مقدم لها على نساء زمانها والباحث يبدأ في الكلام عن المسألة السابقة، (أن المقصود باصطفائها على نساء العالمين) أنها الوحيدة التي ستلد بدون رجل، وهذا ما لم يشاركها فيه أحد من النساء فهل دل

---

(1) المراغي، احمد مصطفى، "تفسير المراغي"، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د،ط، ت)، ج3، ص150.

(2) انظر الشعراوي، محمد متولي، "قصص الأنبياء"، دار الكتب العلمية، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، (د، ط، ث)، ج5، 2975-2977).

(3) اسحاق عويضه، أبو صعليك، " الاصطفاء في القرآن الكريم"، رسالة ماجستير، ص63، الحاشية .

وجود ميزة ليست في غيرها تدل على أفضليتها على نساء العـالمين قاطبـة، إن الناظر مثلاً لبعض الأنبياء أعطوا منازل لم يعطوها أولو العزم من الرسل الـذين قدمهم الله عز وجل في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ونقف في هذه المسالة أمام قولان:

1. القول الأول: التفضيل لها على الإطلاق، نسب الأستاذ إسحاق هذا الإطلاق لسيد قطب في الظلال،[1] يظهر من ذلك أن سيد قطب لم يقل بتفضيلها على نساء العالمين على الكيفية التي أرادها الأستاذ إسحاق، وإنما أراد أن يبـين مكانة مريم البتول عند المسلمين، وفي القرآن رداًعلى النـصارى الـذين كذبوا بهذا الدين وهذا النبي- صلى الله عليه وسلم- الذي يرفع من شـان مريم وابنها، فهذا تقريع لهم، كما نسب هذا الإطلاق في التفـصيل للإمـام النسفي"، وقد رجعت لطبعتين للكتاب" تفسير النسفي" " مـدارك التنزيـل"، طبعة دار الفكر، ج1، ص157، والطبعة الأولـى، 1996م، دار النفـائس تحقيق مروان محمد الشعار، ج1، ص238، فلم أجد ما زعمـه الأسـتاذ إسحاق من هذا الإطلاق في التفضيل.
2. القول الثاني: تفضيلها على نساء زمانها، كما فضل غيرها من النساء على زمانهن، كخديجة، وآسيا إمرأة فرعون، وفاطمة بنت النبي ـ صـلى الله عليه وسلم.

وأخرج الأمام مسلم في صحيحه جملة من الأحاديث تدل على اشتراك عـدد فـي النساء المصطفيات منها :-

---

(1) رجعت لسيد قطب في الظلال، مجلد1، ج3، ص395، لكن الامر غيـر مـا ذكـر الأستاذ اسحاق، فسيد، رحمه الله ـ قال" على نساء العالمين"، في معرض كلامه على سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم،" ها هو يحدث عن ربه بحقيقة مـريم العظيمـة وتفضيلها على " نساء العالمين" بهذا الإطلاق الذي يرفعها إلى أعلى الآفاق، وهو في معرض مناظره مع القوم الذين يعتزون بمريم، ويتخذون من تعظيمها مبـرراً لعـدم إيمانهم بمحمد والدين الجديد...".

الحديث الأول: من حديث علي بن أبي طالب – رضي الله عنـه - قـال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم " خير نسائها (الدنيا) مريم بنت عمـران وخيـر نسائها خديجة بنت خويلد"[1] قال أبو كريب:- وأشار وكيع إلى السماء والأرض. فالحديث جمع بين مريم وخديجة في عصرين متباعدين ، ناهيك عن إخراج مسلم للحديث في باب فضائل خديجة رضي الله عنها فإن كان ما بين الـسماء والأرض فلا يختص بواحدة دون الأخرى وذكر الأستاذ إسحاق[2]أن الحديث فضلهن علـى نساء العالمين ، فجعل الحديث عاماً والآية خاصة وفي هذا نظر ، حيث أن الآيـة بل السورة كلها اسماها الله عز وجل بسورة ((آل عمران)) لتبين لنا هذه الشجرة الطيبة المنبت والطيبة الأكل وجاءت فيها ردود على النصارى كثيـرة، وجـاءت تبين ميزة كل فرد من أفراد آل عمران .

والحديث الثاني :- من حديث أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنـت عمـران وآسيا امرأة فرعون وإن فضل عائشة على النساء كفـضل الثريـد علـى سـائر الطعام ".[3]

وفي هذا الحديث ذكر ثالثة وهي آسيا امرأة فرعون التي طلبت القرب من الله أولاً ثم بناء البيت ﴿إِذْ قَالَتْ رب ابن لِي عِندك بيتاً فِي الْجنةِ ونَجنِي مِن فِرعون وعملِهِ ونَجنِي مِن الْقَومِ الظالِمِين﴾ [التحريم / 11].

وفي الحديث الثالث " ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المـؤمنين أو سـيدة هـذه الأمة "[4] لفاطمة رضي الله عنها.

وقد قال الألوسي -رحمه الله- لتقديم فاطمة الزهراء على النساء أجمعـين :"والذي أميل أليه – أن فاطمة البتول أفضل النساء المتقدمات والمتأخرات حيـث أنها بضعة رسول الله صلى الله عليه وسلم – بل ومن حيثيات أخـر ، ولا يعكـر

---

(1) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، ط2001م، كتاب" فضائل الصحابة"، باب فضل خديجة، حديث رقم(2430).

(2) رسالة" الاصطفاء في القرآن الكريم" ص63 الهاشية.

(3) أخرجه، مسلم، كتاب" فضائل الصحابة"، باب فضل خديجة، حديث(2431).

(4) أخرجه، مسلم، كتاب" فضائل الصحابة" باب فضل فاطمة، حديث(2450).

ذلك الأخبار لجواز أن يراد بها أفضلية غيرها عليها مـن بعـض الجهـات"[1]، والكلام من هذا الجانب ينطبق على مريم عليها السلام حيث أن عيـسى -عليـه السلام- ، جزء منها، وهناك من رأى أن عائشة ونساؤه – صلى الله عليه وسلم- عموماً أفضل، وذلك أن المرأة مع زوجها في الجنة ونسأل الله عز وجل أن يكون مقامه الوسيلة وأعلى الدرجات عند مليك مقتدر، فأزواجه معه، وأما فاطمـة زوج علي ومنزلة النبي -صلى الله وعليه وسلم-أعلى بلا شك وهذا رأي أ شـار لـه الألوسي رحمه الله. [2]

ويرى الباحث أن الجمع في هذه المسألة ممكن : أن الناظر فـي أحاديـث فضائل الصحابة مثلاً : يجد أن النبي- صلى الله عليه وسلم – عندما يتحدث عـن صحابي ما يشعر من أحاديثه كأنه أفضل الصحابة ، وعندما يتحدث عـن آخـر تحس بذلك أيضاً أذن لا مانع أن تكون كل امرأة من هولاء النسوة المتميزات فـي تاريخ البشرية لها مكانة خاصة، ومواقف عظيمة كآسيا امرأة فرعـون، وهـاجر زوج إبراهيم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنـت محمـد- صلى الله عليه وسلم- وغيرهن...

المسألة الرابعة: هل اصطفاء مريم عليها السلام يقصد منه النبوة ؟

تعددت آراء العلماء والمفسرون في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: القول بنبوة مريم -عليها الـسلام- قـال بـه القرطبـي[3] وغيـره مستدلين:- أن الله عز وجل أوحى لها بواسطة (ملَك) كمـا أوحـى إلـى سـائر النبيين[4].

وهذا الدليل عندهم قوي، حيث أن مختلف عن وحي الله لأم موسى وهـو بمعنـى الإلهام وعن وحيه للنحل والأرض – أنه بمعنى الإلهام – جاء الـوحي بخطـاب

---

(1) الآلوسي،" روح المعاني"، إحياء التراث، ج3، ص155.

(2) الآلوسي،" روح المعاني"، إحياء التراث، ج3، ص155وما بعدها.

(3) القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد،" الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط1، 1988م، ج4، ص53، قال" والصحيح أن مريم نبية".

(4) القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد،" الجامع لأحكام القرآن"، دار الكتـب العلميـة، بيروت، ط1، 1988م، ج4، ص53.

الملائكة لها كما في قوله تعالى ﴿ {وإِذْ قَالَتِ الْملاَئِكَةُ يا مريم إِن اللّـه اصـطَفَاكِ وطَهركِ﴾ وقال تعالى ﴿إِذْ قَالَتِ الْملآئِكَةُ يا مريم إِن اللّه يبشركِ بِكَلِمةٍ منْه اسـمه الْمسِيح عِيسى ابن مريم وجِيهاً فِي الدنْيا والآخِرةِ ومِن الْمقَربِين﴾ [آل عمـران / 45].

القول الثاني: وهو قول جماهير أهل العلم إن مريم ليست بنبيـه وأنهـا صـديقة مستدلين:

1. أن الله وصفها بقوله ﴿وأُمه صِديقَةٌ﴾ [المائدة / 75] والصديقية مرتبة أقل مـن النبوة، بدليل قوله تعالى ﴿ومن يطِعِ اللّه والرسولَ فَأُولَـئِك مع الَّذِين أَنْعـم اللّـه علَيهِم من النبِيين والصديقِين والشهداء والـصالِحِين وحـسن أُولَــئِك رفِيقـاً﴾ [النساء / 69].

2. قوله تعالى ﴿وما أَرسلْنَا مِن قَبلِك إِلا رِجالاً نوحِي إِلَيهِم فَاسأَلُواْ أَهلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُم لاَ تَعلَمون﴾ ا[النحل / 43].

فكلمة رجالاً لتفيد البشرية أولاً كالجنس، ثم تفيد النوع المذكر ثانيـاً، وذلـك لأن طبيعة الرسول قائمة على هذه المخاطبة، والمعاشرة لقومه يظهر للجميع ويتحدث، مع الجميع... أما المرأة فمبنية على التستر، ولو نظرنا لطبيعة المرأة لوجدنا فـي طبيعتها أموراً كثيرة لا تناسب دور النبوة ، ولا تتماشى مع مهمة النبـي ، مثـل أنقاطعها عن الصلاة والتعبد لأنها حائض أو نفساء.[1]

كما أن كلمة " رجالاً " مقيدة بقوله ﴿نوحِي إِلَيهِم﴾ " فالرسول رجل ، ولكن هناك ميزة تميزه عن البشر أنه يوحي إليه.

3. لم تخاطبها الملائكة في الآيات بأي تشريع ، ثم إن خطاب الملائكة لهـا كـان على سبيل تبشيرها بعيسى عليه السلام .

القول الثالث: أنها نبيه وليست رسوله ذكره أبن عاشور[2].

ويرد على هذا أن النبي والرسول كلاهما مأمور بالتبليغ بدليل حديث النبي صـلى الله عليه وسلم " لما أسري بالنبي – صلى الله عليه وسلم – جعـل يمـر بـالنبي والنبيين ومعهم القوم والنبي والنبيين ومعهم الرهط والنبي والنبيين ولـيس معهـم

---

(1) انظر الشعراوي، " تفسير الشعراوي"، أخبار اليوم، مجلد(13)، ص7950.

(2) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، الدار التونسية، 1984م، ج3، ص244.

احد"[1] فما الوجه لأبن عاشور في التقسيم حيث لم ينص على الفرق بـين النبـوة والرسالة ، ولكن المعلوم أنهما مشتركان في التبليغ.

الراجح: - مما سبق يرى الباحث أن قول القائلين بأنها ليست نبيه هـو الأقـوى، وقد رجعت للقرطبي عند تفسير سورة النحل عند قوله تعالى " وما أرسـلنا مـن قبلك إلا رجالاً " فقال : رد الله على مشركي مكة بقوله " وما أرسلنا من قبلـك " إلى الأمم الماضية يا محمد "إلا رجالاً " آدميين !![2]

6.4 اصطفاء طالوت، ودلالة ذلك

ورد اصطفاء طالوت في سورة البقرة فقال تعالى ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُـؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة / 247]. قيل هذا الملك في هـذه الآيـة اسمه" شاول"، وطالوت كنيته[3] والنبي قيل هو يوشع بن نون[4] واصطفاء طالوت هنا لمصلحة العباد، واعتراضهم عليه ليس في مكانه.

أما أسباب استبعاد طالوت من الملك: لان النبوة كانت مخصوصة بسبط معـين من أسباط بني إسرائيل، وهو سبط لأوي بن يعقوب عليه السلام، والمملكة بـسبط

---

(1) اخرجه الترمذي، كتاب" صفة القيامة، باب(16)، حديث(2446)، قال ابـو عيـسى: حديث حسن صحيح، من حديث ابن عباس.

(2) القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، ج10، ص72.

(3) ابن عاشور، "التحرير والتنوير"، ج2، ص489، ومنعه القاسمي، وقال: انه من زعم الكتابين، انظر القاسمي، محاسن التأويل" ، ج2، ص304.

(4) انظر أبي السعود، "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"،دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت، (د، ط، ت)، ج1، ص239.

يهوذا منه داوود وسليمان عليهما السلام، ولم يكن طالوت من أحد هذين السبطين بل من ولد بنيامين. (1)

أما أسباب اختياره:

1. اصطفاء الله عز وجل له وهو أعلم بالمصالح منكم.
2. وفور العلم ليتمكن به من معرفة أمور السياسة.
3. جسامة البدن ليعظم خطره في القلوب، ويقدر على مقاومة الأعداء، ومكابـدة الحروب. (2)

وأما سبب هذا الاصطفاء فقد ظهر بعد تولي طالوت الملك فظهرت فيـه القيـادة الصالحة المؤمنة، وخبرته بالنفوس، وعدم اغتراره بالحماسـة الظـاهرة، وعـدم اكتفائه بالتجربة الأولى، ومحاولته اختبار الطاعة والعزيمة في نفوس جنوده قبـل المعركة، وفصله للذين ضعفوا وتركهم ورآءه، عدم تخاذله وقد تـضاءل جنـوده تجربة بعد تجربة....فخاض بهم المعركة ثقة منه بقوة الإيمان الخالص، ووعد الله الصادق للمؤمنين. (3)

وتعد هذه الآيات من سورة البقرة، من سلسلة مراحل بني إسرائيل فـي القـرآن الكريم، وكان حكم طالوت ـ عليه الـسلام ـ تمهيـداً لحكـم داوود وسـليمان -عليهما السلام ـ ومقدمة للفترة الذهبية في تاريخ بني إسرائيل، التي تمثل أعلى قمة وصل إليها بنو إسرائيل،(4) إذن هذه القصة حلقة مـن حلقـات تـاريخ بنـي إسرائيل تمثل الطباع المتأصلة فيهم من المجادلة، والمحاججة بغير علم ولا هـدى والاعتراض على أوامر الله عز وجل، والتحايل على شرعة كما مر العديـد مـن الآيات في سورة البقرة على هذه التصرفات، كقصة البقرة، وأصـحاب الـسبت وغيرها.

---

(1) انظر أبي السعود، "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"،دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت، (د، ط، ت)، ج1، ص286.

(2) انظر أبي السعود، "ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الحكيم"،دار إحيـاء التـراث العربي، بيروت، (د، ط، ت)، ج1، ص287.

(3) انظر قطب، سيد، " في ظلال القرآن" دار الشروق، ط9، 1980م، ج2، ص263.

(4) د. الخالدي، صلاح عبدالفتاح، " الشخصية اليهودية من خلال القـرآن"، دار القلـم، دمشق، ط1، 1987م، ص98.

هذا مع تأييد الله عز وجل له بآية، فالله هو الذي بعثه ملكاً، وسيؤيده الله بأية لتكون علامة على ملكه، ليذعنوا ويسلموا تسليماً، فبين لهم أن هذه العلامة الصادقة على ملكه أن يأتيهم التابوت، وهو صندوق كان فيه بعض آثار موسى وهارون - عليهما السلام - وكان قد غلبهم العمالقة الفلسطينيون عليه، وسيأتيهم هذا التابوت لتطمئن قلوبهم، وليكون علامة لهم إن كانوا مؤمنين. [1]

الخاتمة

بعد هذا الطواف حول هذه الدراسة، والجهد المقل في البحث عن التفضيل والاصطفاء ومدلولات آيات التفضيل والاصطفاء في القرآن الكريم، خرجت بأبرز النتائج الآتية:

1. أن الاصطفاء لغة يختلف عن الاختيار والإيثار والاجتباء والاصطناع.
2. التفضيل يدل على الزيادة في الشيء (وهو معنى خاص) أما الاصطفاء فيدل على صفو الشيء (وهو معنى عام)، ويمكن القول أن كل تفضيل اصطفاء وليس كل اصطفاء تفضيل.
3. ترجيح عدم الترادف بين هذه الألفاظ، وأن كل لفظ له مدلوله الخاص، فالاصطفاء لفظ عام يطلق على الخلوص من الشوب ويصرف للأنبياء وغيرهم، وأما الاجتباء فيصرف أيضاً للنبوة وغيرها، ولكن في إطار التعليم، وأما الإيثار فهو التقديم وهو لفظ عام، وأما الفضل فهو لفظ خاص

(1) د. عباس، فضل حسن، " قصص القرآن الكريم" دار الفرقان، للنشر، عمان، ط1، 2000م، ص724.

ولا يطلق إلا على الأعلى، كما أن لفظ الاصطفاء أدق من لفظ الاختيـار، لأن الاختيار هو اتخاذ الشيء نظراً للخير الذي فيه، أما الاصطفاء نظـراً لما فيه من الصفاء، فالشيء قد يكون خيراً ولكن لـيس صـافياً. كمـا أن الاصطناع أدق من الاختيار أيضا، لان فيه الزيادة في الاختيار.

4. اصطفاء الرسل والأنبياء في القرآن الكريم كان لصفات جليلة فيهم.
5. في الملائكة رسل كما في البشر، ولهؤلاء الرسل مهـام متفاوتـة كحمـل الشرائع للأنبياء، أو البشارة، أو العذاب......الخ.
6. اصطفاء المؤمنين عام، يشمل الأنبياء والملائكة وعامة الناس.
7. اصطفاء الدين يقصد به ما اتفقت علية رسالة الأنبياء والمرسلين جميعاً من عبادة الله عز وجل ونبذ كل معبود سواه.
8. أما اصطفاء اللغة العربية، يدل على أهمية اللغة العربية ومكانتها وأنها لغة أزلية باقية ما بقي القرآن الكريم.
9. اصطفاء مريم -عليها السلام- لا يقصد منه النبوة.
10. تفضيل مريم – عليها السلام- كان لنساء عصرها.
11. اصطفاء طالوت – رضي الله عنه- لصفات توافرت فيه تعين على أقامة حكم الله عز وجل.
12. الرد على المشركين في اصطفاء الذكور على الإناث كان فـي القـرآن المكي.
13. تفضيل بعض الأوقات والأماكن، هو لما فيها من الخير العظيم والأجـر الكبير.
14. لا يعني هذا الرد تفضيل الذكور على الإناث.

وهذا الجهد المتواضع الذي بذلت فيه أقصى جهد ممكن في تقصي الحقائق شـأنه شأن علم البشر الذي سمته القصور، ولهذه الصفة التي تغلب على علم البشر، فإني أخرج بعدد من التوصيات:

أولها: لابد من فتح الباب للبحث في مسألة المفاضلة بين الملائكة والبـشر للباحثين في مجال العقيدة الإسلامية كون هذه الرسالة جاءت في تفـسير الآيـات الكريمة ولم تتطرق بشكل مفصل عن هذه المسألة.

ثانيها: بحث مسألة نبوة مريم يحتاج إلى بحث مستقل يتلمس مـن خلالـه معرفة الحق في ذلك من خلال جميع النصوص في هذه المسألة من ناحية عقدية.

والله عز وجل في الختام اسأله أن يغفر لي من زلة القلـم فـي شـرعه القـويم وصراطه المستقيم، أنه هو الغفور الرحيم، كما اسأله أن ينفعنا بمـا علمنـا، وان يعلمنا ما ينفعنا وعامة المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصـحبة أجمعين.

المراجع

القرآن الكريم .

آبادي، الفيروز، مجد الدين محمد بن يعقوب، (1980)، **القـاموس المحـيط**، الهيئة المصرية العامة.

إبراهيم، حافظ، "**ديوان حافظ إبراهيم**"، (د،ت)، ضبط أحمـد أمـين، وأحمـد الزين، دار العودة للنشر، بيروت.

الأصفهاني، الراغب،(1992)، "**مفردات ألفـاظ القـرآن**" دار القلـم للنـشر، بيروت.

الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، (د،ت) "**روح المعاني في تفسير القـرآن العظيم والسبع المثاني**"، دار أحياء التراث العربي للنشر، بيروت.

الانصاري، ابن هشام جمال الدين أبو محمد، (د،ت) "**مغني اللبيب عن كتـب الأعاريب**"، دار الفكر، بيروت.

البخاري، محمد بن إسماعيل، (2001) " **الصحيح المسند**"، دار الكتب العلمية، بيروت.

البغوي، الحسين بن مسعود، (1992) " **تفسير البغوي**"، تحقيق خالد العك، دار المعرفة للنشر، بيروت.

البقاعي، ابراهيم بن عمر بن حسن الرباط، (1979) "**نظم الدر في تناسب الآيات والسور**" مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

الترمذي، محمد بن عيسى، (د،ت) "**جامع الترمذي**".

الجرجاني، علي بن محمد السيد، (1992)، " **التعريفات** "، دار الكتاب العربي.

الجزار، كامل محمد سالم، (2006) "**المعجم الفريد لمعاني كلمات القرآن المجيد**"، دار التوزيع الاسلامية.

ابن جزي، احمد بن محمد، (د،ت)، "**التسهيل لعلوم التنزيل**"، اعتنى به الدكتور عبدالله الخالدي، دار الأرقم للنشر، عمان.

الجوهري، ابو الفداء اسماعيل بن حماد، (د،ت) "**الصحاح في اللغة**".

حوى، سعيد، (1985) "**الأساس في التفسير**"، دار السلام للنشر، حلب.

الخازن، ابو الحسن علي بن إبراهيم محمد بن إبراهيم، (د،ت) " **لباب التأويل في معاني التنزيل** " دار الفكر للنشر، بيروت.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح، (1987) "**الشخصية اليهودية من خلال القرآن**" دار القلم، دمشق.

الرازي، فخر الدين ابو عبدالله محمد بن عمر، (1981) "**التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**"، دار الفكر للنشر، بيروت.

رضا، محمد رشيد، (د،ت) " **تفسير المنار** "، دار المعرفة، بيروت.

الزحيلي، وهبة، (1998) "**التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**" دار الفكر للنشر، دمشق.

الزحيلي، وهبه، (2001) "**التفسير الوسيط**"، دار الفكر،بيروت، ودار الفكر، دمشق.

الزمخشري، جار الله أبو القاسم، (د،ت) "**الكشاف عن حقائق التنزيل**" الدار العلمية للنشر، بيروت.

أبو زهره، محمد، (د،ت) "**زهرة التفاسير**"، دار الفكر العربي للنشر، بيروت.

الزين، محمد بسام، (1995) " **المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظـيم**"، دار الفكر للنشر، دمشق، دار الفكر، بيروت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (2000) " **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**"، مؤسسة الرسالة، بيروت.

أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، (د،ت)، " **إرشاد العقل السليم إلـى مزايا الكتاب الكريم**" دار إحياء التراث العربي، بيروت.

السمرقندي، ابو الليث نصر بن محمد بن احمد بن ابـراهيم، (1993) "**بحـر العلوم**"، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن ابي بكر، (1990) " **الدر المنثور في التأويل بالمأثور**" دار الكتب العلمية ، بيروت.

السيوطي، جلال الدين، (1988) "**معترك الأقران في اعجاز القرآن**"، ضـبطه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

الشربيني، الخطيب، (2004) "**السراج المنير**"، علق عليه أحمد عـز، عنايـة الدمشقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.

الشعراوي، محمد متولي، (د،ت) "**تفسير الشعراوي**"، اخبار اليوم، القاهرة.

الشعراوي، محمد متولي، (د،ت) "**قصص الانبياء والمرسلين**" نـشر المكتبـة التوفيقية، مصر.

الشناوي، عبد العزيز، (1999) " **البرهان على اعجاز القرآن**"، مكتبة الايمان للنشر والتوزيع، مصر.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (1994) "**فتح القدير الجامع بـين فنـي الرواية والدراية في علم التفسير**"، دار ابن كثير، بيروت، دار الكلـم الطيب للنشر، بيروت.

أبو صعليك، إسحاق عويضة، (2002) " **الاصطفاء فـي القـرآن الكـريم**"، إشراف الأستاذ الدكتور فريد السلمان، الجامعة الأردنية، عمان.

الطباطبائي، السيد محمد، (1997) "**الميزان في تفسير القرآن**"، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

الطبري، محمد بن جرير، (1992)، "**جامع البيان في تأويل القرآن**" دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر،(1984)"**التحرير والتنوير**"، الدار التونسية للنشر،تونس.

العاملي، بهاء الدين بن حسين، (د،ت) "**الكشكول**"، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت.

عباس، فضل حسن، (2000) " **قصص القرآن الكري**م"، دار الفرقان للنشر، عمان.

العسكري، ابو الهلال بن عبدالله، (1981)**(الفروق اللغوية**)، تحقيق حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق، (1993) "**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**" دار الكتب العلمية، بيروت.

الغماري، عبدالله بن صديق، (1997) "**دلالة القرآن المبين على أن النبي - صلى الله عليه وسلم- أفضل العالمين**"، المكتبة المكية،الرياض.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، (1991) " **معجم مقاييس اللغة** "، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل للنشر، بيروت.

الفراء، ابي زكريا، (د،ت) "**معاني القرآن**"، الدار المصرية للتأليف،مصر.

القاسمي، محمد جمال الدين، (1978) "**محاسن التأويل**"، اغتنى به محمد فؤاد عبد الباقي"، دار الفكر، بيروت.

القرطبي، محمد بن احمد، (1988) "**الجامع لاحكام القرآن**"، دار الكتب العلمية، بيروت.

القشيري، أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان، (2000) " **تفسير القشيري المسمى لطائف الاشارات"،** دار الكتب العلمية، بيروت.

قطب، سيد، (1980) " **في ظلال القرآن**"، دار الشروق، القاهرة.

القونوجي، (2001) "**حاشية القونوي على تفسير البيـضاوي**"، دار الكتـب العلمية، بيروت.

ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر، (2009)، "**تفسير القـرآن العظـيم**"، تحقيق سامي بن محمد بن سلامة، دار طيبة للنشر، الرياض.

الكوفي، أبي البقاء بن موسى، (1992) " **الكليات في المصطلحات والفـروق اللغوية**" مؤسسة الرسالة، بيروت.

المبار كفوري، صفي الرحمن، (1987) " **الرحيق المختـوم**"، مؤسسة علـوم القرآن، بيروت.

المراغي، احمد مصطفى، (د،ت) "**تفسير المراغي**"، دار احياء التراث العربي، بيروت.

المعتزلي، القاضي عبد الجبار بـن احمـد، (2008) "**تنزيـه القـرآن عـن المطاعن**"، دراسة وتعليق د. خضر محمد بنها، دار الكتـب العلميـة، بيروت.

مغنيه، محمد جواد، (1981) "**التفسير الكاشف**"، دار العلم للملايين، بيروت.

المنجد، محمد نور الدين، **(1981) "الترادف في القران الكريم بين النظريـة والتطبيق"**، دار الفكر، دمشق.

ابن منظور، جمال الدين، محمد بن مكرم، (2003) " **لسان العرب**"، دار الكتب العلمية، بيروت.

النسفي، عبدالله بن احمد، (1996) "**تفسير النسفي**"، (د،ت).

النيسا بوري، مسلم بن حجاج، (2001) " **المسند الصحيح**"، (د،ت).

النيسا بوري، نظام الدين، (1996) "**غرائب القرآن ورغائـب الفرقـان**"، دار الكتب العلمية، بيروت.

ملحق (أ)

فهرس الآيات

فهرس الآيات

	﴿ إِذْ قَالَ لَه ربه أَسلِم ... ﴾	131	44
	﴿ ووصى بِها إِبراهِيم بنِيهِ ... ﴾	132	57، 80
	﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن... ﴾	185	26
	﴿ والوالدات يرضعن أولادهن ... ﴾	233	20
	﴿ قَالَ لَهم نَبِيهم إِن اللّه قَد بعثَ ... ﴾	247	58، 92
	﴿ تِلْك الرسلُ فَضلْنَا بعضهم ... ﴾	253	8
آل عمران	﴿ قُلْ إِن كُنتُم تُحِبون اللّه ... ﴾	31	37
	﴿ قُلْ أَطِيعواْ اللّه والرسولَ ... ﴾	32	21
	﴿ إِن اللّه اصطَفَى آدم ونُوحاً ... ﴾	33	37
	﴿ {ذُريةً بعضها مِن بعضٍ ... ﴾	34	37، 42
	﴿ إِذْ قَالَتِ امرأَةُ عِمران ... ﴾	35	39
	﴿ وإِذْ قَالَتِ الْملاَئِكَةُ يا مريم ... ﴾	42	58، 85
	﴿ إِذْ قَالَتِ الْملآئِكَةُ يا مريم ... ﴾	45	90
	﴿ ولا يحسبن الذين يبخلون ... ﴾	75	25
	﴿ بلَى من أَوفَى بِعهدِهِ ... ﴾	76	44
	﴿ بإن أول بيت وضع للناس ... ﴾	96	28
	﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ... ﴾	110	31
	﴿ فَآتَاهم اللّه ثَواب الدنْيا ... ﴾	148	29
	﴿ ولقد صدقكم الله وعده ... ﴾	152	14
النساء	﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ... ﴾	32	19
	﴿ الرجال قوامون على النساء ... ﴾	34	18
	﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ... ﴾	37	25
	﴿ ومن يطِعِ اللّه والرسولَ ... ﴾	69	90
	﴿ لا يستَوِي الْقَاعِدون مِن الْمؤْمِنِين... ﴾	95	16

	﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى ...﴾	124	67
	﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم ...﴾	125	45
المائدة	﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق ...﴾	48	81
	﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسولٌ ...﴾	75	90
الأنعام	﴿ وقالواْ لولا أنزلَ عليهِ ملك ...﴾	8	84
	﴿ ووهبنَا له إسحاقَ ويعقُوب ...﴾	84	51
	﴿وإسماعيل واليسع ويونس ...﴾	86	9
	﴿ ومِن آبائِهم وذُرياتِهم ...﴾	87	59
	﴿ وإذَا جاءتْهم آيةٌ ...﴾	124	77
الأعراف	﴿ يا بني آدم خُذُواْ زينَتَكُم ...﴾	31	73
	﴿ تلكم الجنة التي أورثتموها ...﴾	43	22
	﴿ قالَ يا موسى إني اصطَفَيتُك ...﴾	144	58،46
	﴿ واختَار موسى قومه سبعين ...﴾	155	62 ،53
	﴿ وإذَا لم تأْتِهم بِآيةٍ ...﴾	203	59
هود	﴿ وامرأتُه قَائِمةٌ فَضحِكتْ ...﴾	71	50
يوسف	﴿ إنا أنزلْنَاه قُرآناً عربِياً ...﴾	2	83
	﴿ وكذَلِك يجتَبِيك ربك ...﴾	6	59
	﴿وأتبعت ملة أبائي إبـراهيم وإسـحق ...﴾	38	11
	﴿ قالُواْ تَاللّهِ لقَد آثَرك الله علَينَا ...﴾	91	62 ،54
الرعد	﴿ وفي الأرض قطع متجاورات ...﴾	4	24
	﴿ وكذَلِك أنزلْنَاه حكْماً عربِياً ...﴾	37	83
النحل	﴿ما أرسلْنَا مِن قَبلِك إلا رِجالاً ...﴾	43	90
	﴿ واللّه فَضلَ بعضكُم علَى بعضٍ ...﴾	71	23
	﴿ من عمـل صـالحاً مـن ذكـر أو أنثى...﴾	97	67

	﴿ ولَقَد نَعلَم أَنهم يقُولُون ... ﴾	103	83
	﴿ شَاكِراً لِّأَنْعِمِهِ اجتَباه ... ﴾	121	59
الإسراء	﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ... ﴾	1	29
	﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض ... ﴾	21	21
	﴿ أفاصفاكم ربكم بالبنين ... ﴾	40	65
	﴿وربك أعلـم بمـن فـي الـسموات والأرض ... ﴾	55	10
	﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم ... ﴾	70	12
	﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ... ﴾	86	11
مريم	﴿ فَكُلِي واشْرِبِي وقَرِي عيناً ... ﴾	26	81
	﴿ يا أُخْتَ هارون ما كَان أَبوكِ ... ﴾	28	85
	﴿ فَلَما اعتَزلَهم وما يعبدون ... ﴾	49	50، 84
	﴿ ووهبنَا لَهم من رحمتِنَا ... ﴾	50	50
	﴿أُولَئِك الَذِين أَنْعم الله علَيهم ... ﴾	58	16
طه	﴿ وأَنَا اخْتَرتُك ... ﴾	13	62
	﴿أَن اقْذِفيهِ فِي التابوتِ ... ﴾	39	55، 62
	﴿ واصطَنَعتُك لِنَفْسِي ... ﴾	41	55، 62
	﴿ وكَذَلِك أَنزلْنَاه قُرآناً عربِياً... ﴾	113	83
	﴿ ثُم اجتَباه ربه ... ﴾	122	59
الحج	﴿ هذان خصمان اختصموا في ربهـم ... ﴾	19	74
	﴿ ويعبدون مِن دون اللهِ ... ﴾	71	75
	﴿ يا أَيها الناس ضرِب مثَلٌ ... ﴾	73	74
	﴿ الله يصطَفِي مِن الْملَائِكَةِ رسلاً ... ﴾	75	58، 75
	﴿ وجاهِدوا فِي اللهِ حق جِهادِهِ ... ﴾	78	59

المؤمنون	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِين كَفَرُوا ...﴾	24	13
النور	﴿ وقُل للْمؤْمِنَاتِ يغْضضن ...﴾	31	74
الفرقان	﴿ وقَالَ الَّذِين لَا يرجون لِقَاءنَا ...﴾	21	52
الشعراء	﴿بِلِسانٍ عربِي مبِينٍ ...﴾	195	83
النمل	﴿ ولقد أتينا داود وسليمان علماً ...﴾	15	10
	﴿ قُل الْحمد لِلهِ وسلَام علَى عِبادِهِ ...﴾	59	58، 77
	﴿ وتَرى الْجِبالَ تَحسبها جامِدةً ...﴾	88	55
فاطر	﴿ الْحمد لِلهِ فَاطِرِ ...﴾	1	76
	﴿ من كَان يرِيد الْعِزةَ ...﴾	10	43
	﴿ ثُم أَورثْنَا الْكِتَاب ...﴾	32	58
	﴿ الذي أحلنا دار المقامة من فضله...﴾	35	22
الصافات	﴿ وجعلْنَا ذُريتَه هم الْباقِين﴾	77	38
	﴿ ونَاديناه أَن يا إِبراهِيم ﴾	104	50
	﴿أَصطَفَى الْبنَاتِ علَى الْبنِين﴾	153	58، 69
ص	﴿ واذْكُر عِبادنَا إبراهِيم ...﴾	45	49
	﴿قال يا إبليس ما منعك أن تسجد ...﴾	75	13
الزمر	﴿ لَو أَراد الله أَن يتخِذَ ولَداً ...﴾	4	59، 70
	﴿ قُرآناً عربِياً غَير ذِي ...﴾	28	81
غافر	﴿ من عمـل سـيئة فـلا يجـزى إلا مثلها ...﴾	40	67
فصلت	﴿ كِتَاب فُصلَتْ آياتُه ُ...﴾	3	83
	﴿ ولَو جعلْنَاه قُرآناً أَعجمِياً ...﴾	44	83
الشورى	﴿ وكَذَلِك أَوحينَا إِلَيك ...﴾	7	80
	﴿ شَرع لَكُم من الدين ...﴾	13	60، 80
	(لله ملك السموات والأرض......)	49	67
الزخرف	﴿إِنا جعلْنَاه قُرآناً ...﴾	3	83
	﴿ وجعلُوا لَه مِن عِبادِهِ جزءاً ...﴾	15	72

65	17	﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ...﴾	
24	72	﴿ وتلك الجنة التي أورثتموها ...﴾	
29	3	﴿ إنا أنزلناه في ليلة مباركة ...﴾	الدخان
57، 62	32	﴿ ولَقَدِ اخْتَرنَاهم ...﴾	
22، 25	12	﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري...﴾	الجاثية
33	16	﴿ ولقد أتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم ...﴾	
54	4	﴿ قُلْ أَرأَيتُم ما تَدعون ...﴾	الأحقاف
83	12	﴿ ومِن قَبلِهِ كِتَاب موسى ...﴾	
67	13	﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم مـن ذكـر وأنثى ...﴾	الحجرات
68	22	﴿ وتلك إذا قسمة ضيزى ...﴾	النجم
63	9	﴿ والذِين تَبوؤُوا الدار والْإيمان ...﴾	الحشر
27	9	﴿ يا أيها الذين أمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة ...﴾	الجمعه
89	11	﴿ وضرب الله مثَلاً للذِين آمنُوا ...﴾	التحريم
60	50	﴿ فَاجتَباه ربه فَجعلَه ...﴾	القلم
63	38	﴿ وآثَر الْحياةَ الدنْيا﴾	النازعات
65	8	﴿ وإذا المؤدة سئلت ...﴾	التكوير
21، 63	16	﴿ بلْ تُؤْثِرون الْحياةَ﴾	الأعلى
22	4	﴿ وللأخرة خير لك من الأولى ...﴾	الضحى
28	1	﴿ والتين والزيتون وطور سنين ...﴾	التين
27	1	﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ...﴾	القدر
71	3	﴿ لم يلد ولم يولد ...﴾	الإخلاص

ملحق (ب)

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

.30	قوله –صلى الله عليـه وسـلم- : " مـن صـام رمـضان إيمانـاً واحتساباً ... "	27
.31	قوله –صلى الله عليه وسلم- : " نحن الآخرون ونحن السابقون ... "	31
.32	قوله –صلى الله عليه وسلم- : " والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد فـي سبيل الله ... "	16
.33	قوله –صلى الله عليه وسلم- : " يدخل الجنة مـن أمتـي سـبعون ألفاً ... "	14
.34	قوله –صلى الله عليه وسلم- : " يصعق الناس حين يصعقون ... "	48